رُوحُ الأَرْوَاح

تأليف

الشيخ الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

(٥١٠ - ٥٩٧)



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ ـ ٨١٥٥٧٣

رَوْحُ الأَرْوَاحِ

مضمون كتاب روح الأرواح

«كلامي يُصلح الأجسادَ وَالأرواح، فَهْو للعارفِ مَجلسُ أُنس، وللتـائب مَجلسُ حُزنٍ، ولأهلِ النهاياتِ إشاراتٍ، ولأهلِ البداياتِ عباراتٍ.

إلَهي، أنتَ بَسطتَ لساني في مَيدانِ العبارةِ ببدائعِ الثناءَ عَليك، وَنَثرتَ مَحاسِنَ صِفَاتِكَ، بِأَنْ أَدُلَّ مَنْ أَساءَ عَليكَ، فَأجعل مَجْلِسنَا رَوْضَةً تَزهُو الربيعِ علَى المصيف.

إلَهي، ارْحمنَا بِمنْ قَبلتَهُ فقلبتُه فَعادَ مِنْ نُحَاسِ المعصيةِ إلى ذهبِ التوبةِ.

يَا أرحمَ الراحمينَ».

الإمام ابن الجوزي

(انظر كتاب روح الأرواح ـ نهاية الفصل الثالث)

شيوخ ابن الجوزى ومؤلفاته

شيوخ ابن الجوزي:

١ ـ ابن الحصين.
٢ ـ أبو عبدالله البارع.
٣ ـ عبد الواحد الدنيوري.
٤ ـ أبو الوقت السجزي.
٥ ـ أبو منصور محمد بن خيرون توفى سنة ٥٣٩ هـ.
٦ ـ أبو منصور الجواليقي صاحب المعري توفى سنة ٥٤٠ هـ.

مؤلفاته:

شغل الإمام ابن الجوزي الباحثين بما قدمه من نتاج فكري ينم عن ثراء وعطاء. وهذه المؤلفات الكثيرة هي التي تحمل مشعل الطريق الذي يضيء للباحثين:

١ ـ فنون الأفنان.
٢ ـ صيد الخاطر.
٣ ـ الأذكياء.
٤ ـ صفوة الصفوة.
٥ ـ الوجوه والنظائر في اللغة.
٦ ـ جامع المسانيد.
٧ ـ الحدائق.
٨ ـ عيون الحكايات.
٩ ـ تذكرة الأديب في اللغة.
١٠ ـ المغني في علوم القرآن.
١١ ـ المدهش.
١٢ ـ مشكل الصحاح.

١٣ ـ الواهيات.
١٤ ـ الموضوعات.
١٥ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر.
١٦ ـ المُذهب في المَذهب.
١٧ ـ الانتصاف في مسائل الخلاف.
١٨ ـ المنتخب.
١٩ ـ نسيم السحر.
٢٠ ـ أخبار النساء.
٢١ ـ أخبار الأخيار.
٢٢ ـ اليواقيت في الخطب الوعظية.
٢٣ ـ الدلائل في منثور المسائل.
٢٤ ـ المنتظم في التاريخ.
٢٥ ـ الضعفاء
٢٦ ـ ذم الهوى.
٢٧ ـ ذم الهوى.
٢٨ ـ تلبيس إبليس.
٢٩ ـ المغفلون.
٣٠ ـ الأذكياء.
٣١ ـ مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.
٣٢ ـ المقيم المعقد في دقائق العربية.
٣٣ ـ مناقب عمر بن الخطاب.
٣٤ ـ نفح الطيب.
٣٥ ـ روح الأرواح (كتابنا هذا).
٣٦ ـ بستان الواعظين.
٣٧ ـ الوفا في فضائل المصطفى.
٣٨ ـ فضائل القدس.
٣٩ ـ شذور العقود في تاريخ العهود.
٤٠ ـ لقط المنافع في الطب والفراسة عند العرب.
٤١ ـ مختصر المنتظم.
٤٢ ـ المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن.
٤٣ ـ نتيجة الإحياء (اختصر فيه إحياء علوم الدين).
٤٤ ـ تقويم اللسان.
٤٥ ـ عجائب البدائع.
٤٦ ـ زاد المسير في علم التفسير.
٤٧ ـ دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة.
٤٨ ـ فنون الأفنان في عجائب القرآن.
٤٩ ـ مناقب أحمد بن حنبل.
٥٠ ـ تبصرة الأخيار.
٥١ ـ المختار من أخبار المختار.
٥٢ ـ بستان الواعظين.
٥٣ ـ النور في فضائل الأيام والشهور.
٥٤ ـ تهذيب المسند عشرون مجلداً.
٥٥ ـ التبصرة.
٥٦ ـ التفسير الكبير في عشرين مجلد.
٥٧ ـ المواعظ والمجالس.
٥٨ ـ الثبات عند الممات.
٥٩ ـ لفتة الكبير الى نصيحة الولد.
٦٠ ـ منهاج المريدين.

٦١ ـ القصاص والمذكرون.
٦٢ ـ الكشف في احاديث الصحيحين.
٦٣ ـ حبة النظر.
٦٤ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز.
٦٥ ـ لمسات الزهر وفريدة الدهر.
٦٦ ـ كنز المذكرين.
٦٧ ـ لطائف المعارف.
٦٨ ـ في الحث على طلب العلم.
٦٩ ـ سلوة الأحزان بما روي عن أهل العرفان.
٧٠ ـ الرد على المستعب العنيد المانع من ذم يزيد.
٧١ ـ الذهب المسبوك في سير الملوك.
٧٢ ـ فضائل المدينة المنورة.
٧٣ ـ مثير الغرام لساكني الشام.
٧٤ ـ الطب الروحاني.
٧٥ ـ منهاج أهل الإصابة في صحبة الصحابة.
٧٦ ـ المصفى بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ.
٧٧ ـ نور الغبش في فضائل السود والحبش.

فكرة عن منهج ابن الجوزي
من خلال بعض فصول كتابه

الفصل الأول

تحدث فيه الإمام ابن الجوزي عن أن من يجب له الحمد والشكر هو الله سبحانه وتعالى لنعمه التي لا تحصى والتي قال عنها ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ وأن الله يعلم كل صغيرة وكبيرة ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾ (الأنعام ـ ٥٩).

وقال: «الحمد لله الذي لا تخالطه الأوهام، ولا تحيط به الظنون يعلم هجس الهاجس في الخاطر، وما تخفى العيون، استوى على العرش، وهو معكم تعالى عن الحركة والسكون، رفع السماء على عماد القُدرة، وأسكنها ملائكة عن ذكره وعبادته لا يفترون يُسخرهم فيما شاء من أفعاله ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ (التحريم ـ ٦).

ثم أخذ يسرد حكايات عن الزهاد والعباد، هؤلاء النفر الذين خلت قلوبهم من مادية الأرض إلى شفافية السماء.

فذكر عن: محمد بن المنكدر، ويحيى بن أيوب، وجعفر السقا، وأبو هاشم، وذي النون المصري، والفضيل بن عياض.

وبذا يختم هذا الفصل الذي يقول في نهايته:

«إخواني ناشدتكم الله من حاله مثل حالي فليساعدني بدعوة أن يرحم الله غربتي إذا انسيتني الذاكرون وأن يذكرني برحمته».

الفصل الثاني

١ ـ يبدؤه بالثناء على الله فيقول: «الحمد لله الذي تعرف إلى أوليائه بنعوت الجلال فعرفوه داوم به عليهم فوافقهم بالأنس فألفوه ألهم أسرارهم فبذكره لهم ذكروه، يباهي بأحوالهم الملائكة وكيف لا وقد أحبهم وأحبوه...».

٢ ـ ويعبر الإمام ابن الجوزي عن شفافية الروح وصفاء النفس الطاهرة ومدى ارتباطها بغيرها فيذكر في هذا الصدد حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه والذي يقول فيه:

«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

سبحانك يا رب لك في تعارف الأرواح أحكام قدرة هذا لهذا ولم تقدر هذا لهذا وأنت في اختيارك تفعل ما تريد فلا تسأل عما تفعل ونحن نسأل.

٣ ـ وهنا أيضاً يذكر حكايات عن شيوخ العارفين بالله والسالكين الطريق فينقل حكايات عن مالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وسهل بن عبدالله التستري، وابن الجواد.

٤ ـ أبرز ما يميز التصوف الإسلامي هو تلك الإشارات اللطيفة والعبارات الرقيقة التي تحمل في طياتها مغزى نبيل ومعنى جليل. أقوالهم ترمز إلى معاني العرفان والحب والولاء وكان يسعف الكثير منهم للنطق بهذه الخلجات ان بعضهم كان يقول الشعر إذ أن الشعر كلمات بسيطة تحمل المعاني الجليلة فلا يفوت الإمام ابن الجوزي أن يُطعم كتابه بهذه الأشعار فدبج كتابه بكثير من هذه الأشعار مثل:

سلام على قلب تعرض للهوى ... سلام عليه أحرقته شجون
وعذبه هم يهيج حزنه ... فمالهم والأحزان فيه فنون
ألا هل على الشوق المبرح مسعر ... وهل لي على الشوق الشديد معين
ألام على فيض الدموع ولا أرى ... محبا كئيبا للدموع يصون
أيسلى حَمَامُ الأيك من بعد إلفه ... ويصبو عنه كيف ذلك يكون
ولم لا أبكى ثم أندب ما مضى ... وداء الهوى بين الضلوع دفين

إن مما يجب أن نلفت له الأنظار أن الحب والهوى والغرام والعشق والتعلق وما يصحب من ذلك من همس في الكلمات وبوح بخلجات النفس وخطرات الفؤاد كان يقصد منه مناجاة الله عز وجل والاستغاثة به من همزات الشياطين وهوى النفس وتسلط الدنيا على الإنسان وكان يقصد به أيضاً إعلان التمسك بكتاب الله وشريعة سيدنا رسول الله.

ولسنا نذهب مذهب من ينكر تلك المشاعر النبيلة في النفس بل نعلن هذه المشاعر ونصرح بها ما دامت موجهة إلى إعلان التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وهو سلوك المعتدلين من أهل الطريق وأهل الزهد من جماعة المسلمين.

وهذا نموذج آخر يعكس مدى تعلق المسلم بكتاب الله وما أضربه عن يوم القيامة وضرورة الزهد في الدنيا.

يا غادياً في لهوه ورائحاً	إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم ما تخاف موقفا	يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر	كيف تجنبت الطريق الواضحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرا	يوم يفوز من يكون رابحا

ثم يختم الإمام ابن الجوزي الفصل الثاني بهذا النداء الذي يقول فيه:

إخواني: من وجد منكم في خلوته فليذكر أن له في التوبة نصيباً. فلا ينسى الذليل - أي يدعو للإمام ابن الجوزي - أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون.

الفصل الثالث

يا من باسم حبيبه يترنم	هذا هو الاسم الأعز الأكرم
أقلقت أرباب القلوب بذكره	فاحكم بما تهوى فأنت محكم
لا تطلبن سواه والزم هنها	إن كنت تدري ما تقول وتفهم
انشد بهذا البيت بيتا شائعاً	قد حار فيه عاشق ومتيم
وقف الهوى لي حيث أنت فليس لي	متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة	شغفا بذكرك فليلمني اللُّوم

١ ـ بدأ الإمام ابن الجوزي هذا الفصل بالثناء على الله لأنه: «تنزه عن التشبيه والتمثيل والمثال وتوحّد في وحدانيته عن المؤانس والمؤازر والمشير وتعاظم في قدرته عن الصاحب والصاحبة».

٢ ـ إن المؤمن يحمد الله عز وجل: «حمد من وقف على ساحل بحر التوحيد فشاهد ما فيه من الأحوال».

٣ ـ إن توحيد الله عز وجل يقتضي من المسلم: أن لا يجسم ذات الله ولا يعلل صفاته.

٤ ـ يبين الإمام ابن الجوزي عن فلسفة موضوع كتابه فيقول: «كلامي يصلح الأجساد والأرواح، فهو للعارف مجلس أنس. وللتائب مجلس حُـزن، ولأهل النهايات إشارات، ولأهل البدايات عبارات. إلّهـي أنت بسطت لساني في ميدان العبارة ببدائع الثناء عليك، ونشرت محاسن صفاتك بأن أول من أساء عليك؛ فاجعل مجلسنا روضة تزهوا الربيع على المصيف، إلّهي: ثبت جميل ما وهبته لنا من توحيدك إلى الممات، إلّهي: ارحمنا بمن قبلته فعاد من نحاس المعصية إلى ذهب التوبة يا أرحم الراحمين».

وهكذا إذا تتبعنا فصول الكتاب نجد فيها العلم الغزير والشعر الصوفي الراقي الذي يربط الإنسان بربه مما يدل على عمق ثقافة ابن الجوزي وغزارة منحاه العلمي والله يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

محمود محمد محمود حسن نصار
خريج دار العلوم
تاج العز/ دقهلية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى عفو ربه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه:

الحمد لله بارىء النسم ومجري القلم ومظهر الوجود العدم.

(أحمده)

حمد مقصر عن مدى شكره وأسأله المزيد مِنْ فضلهِ وَبرهِ وأُصلي على رسوله محمد نبيه وَعلى آلهِ وَأَصحابهِ وحزبهِ.

(أما بعد)

فقد أعرَبَ وَأغرَبَ فأتى بالمذهب المُذَهّب من المُترف بسبق من سابقته وأنشد لسان فصاحته:

* ليس التكحل في العينين كالكحل *

فلو سترت على نفسي لأبقيت وعظي مستوراً ولَكِنَّ كَانَ أمرُ اللهِ قدراً مُقدراً وأنا أسأل من نظر في كتابي هذا ورأى فيه تقصيراً فليبسط لسان العذر فيه ولنأخذ منه ما حرك قلبه ويلهيه فما كل السماع مطرب ولا كل الشجر مثمر، وأسأل من نظر فيه بحرمة الإسلام أن يدعو الله لي بالممات عليه والمغفرة إذا انقلبت إليه ولوالدي ولجميع المسلمين وقد رتبته فصولاً مختصرة ولقبته بروح الأرواح والله أسأل أن ينفع به من سمعه من كافة المسلمين إنه سميع مجيب.

الفصل الأول

الحمدلله الذي تفرد بالوحدانية واحتجب بالعظمة في الدُنيا عَنْ أَنْ يُرى توحّد بالأحديّةِ في قِدَمِهِ تعالى عَنْ قَولِ الجَاحِدِ وَمَا افترىٰ جَعَلَ السَمَاءَ مَيداناً لخيولِ

الكواكب تركضُ فيهِ مِنْ شَرقٍ لغروبٍ مُحكمة بها القلم جرى بَسَطَ الأرض مِهَاداً للبسيطة ليظهر فيها ما سبق في التقدير وما جَرَى حِكم حَاكِم قَضَائِهُ عَلَى الوجود بالفناء فنفذ أمره بلا افتراء حكمه ماضٍ في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى قيد الخلائق بتكييف التكليف فابتلاهم بما يسمع وما يرى أحصى عليهم أعمالهم يقرؤها يوم الحساب من لا فراء يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً والحمد لله المنفرد بعلم ما تكنه الضمائر وتهجس في الأسرار ليس لله في خلقه شريك ولا معين ولا أعوان ولا أنصار جل عَنْ المثال والأمثال والحدود والجهات والأقطار تقدّس عَنْ أَنْ يحصره فكرُهُ ويحده أين أو يُدركه وَهمٌ شَرفَ عَنْ الكُنهِ وَالمِقدارُ فعجن طين الخلائق بالعجز عن إدراك كيفية ذاته جل الواحد القهار فكمال الوجود عجز وكيف لا وهو مقهور بقادر الأقدار مزج صفوه بكدر الشهوة وغير بصيرته بغبار الأغيار أقام عليه رقيب الأمر وعتيد النهي فهو يثنيهما في شدائد وأخطار يحصى عليه ديوان أعماله كبائرها والصغار يدفن في غُربته مَا أطولها غُرلة ومَا أبعدها عَنْ دارٍ ثُمَّ يُحاسبُ عَلَى مَا كسبت يَداهُ فإمّا إلى جنةٍ وإمَا إلى نار **﴿يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾**(1) والحمدُلله الذي لا تُخالطه الأوهام ولا تحيط بِهِ الظُنونَ يَعلَمُ هجس الهاجس في الخاطر وما تخفي العيون استوى على العرش وهو معكم تعالى عن الحركة والسُّكونِ رفع السماء على عماد القُدرة وأسكنها ملائكة عن ذكره وعبادتهِ لا يفترون يُسخرهم فيما شاءَ مِنْ أفعالهِ **﴿لا يَعصَونَ الله مَا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**(2) دحا الأرض على يحرز آخر شحنة بقهرة فهو مشحون مهدها مهاداً للخلائق وبثّ فيها أقواتهم ففيها يرزقون منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها تخرجون أرسل إليهم الرسائل تدلهم عليه فهذا مقبول وهذا مفتون فالعارفون شمروا عن ساق الجد وأهل الغفلة في لهو الهوى يلعبون كما أطالوا نوم الغفلة على فراش البطالة لا يستيقظون **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفطرون﴾**(3) فسبحان من يقول للشيء كن فيكون أحمده حمد

(1) سورة إبراهيم، الآية «٤٨».

(2) سورة التحريم، الآية «٦».

(3) سورة الأنعام، الآية «٦١».

مَنْ يعلم إنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن إنه لو كان كيف يكون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستودعها عنده ليوم المنون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أودع عنده سره فهو مصون صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ركع الراكعون وسجد الساجدون يا من تحدثه الحوادث وهو ما يسمع يا من تناديه العبر ارجع إلى الطريق وما يرجع جس طبيب الموعظة نبض عظمك فأوجد في حياتك مطمع كم نمو في الهوى وكم نوم في الغفلة وثوب شبابك تقطع كم ذا التماهي كم ذا التمادي وفجر المشيب يطلع تبني ما لا تسكن وأكثر مما تأكل تجمع إذا ذهب منك فليس تحزن وتفرح بعمر ولى في اللهو يا ليته يرجع أما عاينت وضع الأحباب في التراب في لحد خراب بلفع نقلوا من فسيح القصور إلى هول يخرس اللسان أن يعبر عما يرى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا.

(حكايـــة)

قال محمد بن المنكدر[1] كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا فلما كان الليل صليت العشاء في المسجد ثم جئت فاستندت إلى ساريتي فجاء رجل أسود يعلوه صفرة مرتد بكساء أصفر على رقبته كساء أصغر منه فتقدم إلى السارية التي بين يدي فكنت خلفه فقام فصلى ثم جلس فقال: يا ربي خرج أهل نبيك ﷺ يستسقون فلم تسقهم وأنا أقسم عليك ألا سقيتهم الساعة، قال ابن المنكدر: فقلت هذا مجنون، قال: ما وضع يده حتى سمعت الرعد ثم جاءت السماء بالمطر حمد الله وأثنى عليه بحامد لم أسمع بمثلها قط ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبت لي ولكن جُدت بحمدك وجدت بطولك، ثم قام فتوشح وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره بين رجليه قام يصلي فلم يزل يصلي حتى إذا أحس بالصبح سجد وأوتر وصلى ركعتي ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل الناس في الصلاة ودخلت معهم فلما سلم الأمام خرج

---

(١) محمد بن المنكدر رضي الله تعالى عنه.

كان يقول: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت على آثار السلف، وكان يحج بالأطفال ويقول: نعرضهم على الله لعله ينظر إليهم، وكان يقول: إن الفقير يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل... توفي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة.

وخرجت خلفه حتى إذا انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه يخوض الماء فرفعت خلفه ثوبي أخوض الماء فلم أدر أين ذهب فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء في المسجد كعادتي ثم جئت لساريتي فتوسدت إليها وجاء فقام وتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره بين رجليه وقام يصلي فلم يزل قائماً حتى أحس بالصبح سجد وأوتر ثم صلى ركعتي الفجر ثم أقيمت الصلاة ودخل مع الناس في الصلاة ودخلت معه فلما سلم الأمام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشي فاتبعته حتى دخل داراً قد عرفتها من دور المدينة ثم رجعت إلى المسجد فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعداً يخرز وإذا به إسكاف فلما رآني عرفني، فقال: يا أبا عبدالله مرحباً ألك حاجة تريد أن أعمل لك خفاً؟ فجلست وقلت: ألست صاحبي البارحة الأولى فاسود وجهه وصاح بي وقال: يا ابن المنكدر ما أنت وذاك؟ قال: فغضب فعرفت منه الغضب، وقلت: أخرج من عنده الآن فلما كانت الليلة الثالثة صليت العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتي فاستندت إليها فلم يجيء فقلت: إنّ لله ما صنعت، فلما أصبحت جلست في المسجد حتى طلعت الشمس وخرجت حتى أتيت الدار التي كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وليس فيه شيء فقال لي أهل الدار: يا أبا عبدالله ما كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه وسط البيت ثم لم يدع في بيته جلداً ولا قالباً إلا وضعه في كسائه ثم حمله وخرج فلم ندر أين ذهب، قال محمد بن المنكدر: ما تركت بالمدينة دار أعلمها إلا وطلبته فيها فلم أجده:

أهيم بمحبوبي وما يعرفونه ... ولو أنهم ذاقوا الغرام لهاموا
هل المحب إلا لوعة مسكنة ... ثم عليها زفرة وغرام
أحن إذا فاحت من الغور نفحة ... وناحت بأعلى الدوحتين حمام
وجن الدجى ثم استمر ظلامه ... وفض عليه للنسيم ختام
وكم من أناس لا محبة عندهم ... نيام وجفن الصب ليس حرام
أذاب الهوى أجسامهم وقلوبهم ... ولم يبق إلا جلدهم وعظام
مررت بناديهم فناديت ربعهم ... وقد ملكتني زفرة وغرام

على عذابات الأبرقين خيامهم   علیهن مني أحييت سلام

يا طويل الأمل في طلب الفاني يا عبد السوء أما غنيتك بإحساني أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما علمت فعلي بمن عصاني أما تستحي مني تذكرني في الشدائد وفي الرخا تنساني عين بصيرتك أعماها الهوى فقل لي بماذا تراني هذا كمال الموعظة فكم هذا التواني إن صالحتني على صالحك أعطيتك الأماني أترك داراً صفوها كدر وآمالها أماني بعت وصلي ويحك بالدون وليس لي في الوجود ثاني ما جوابك إذا أشهدت عليك الجوارح بما تسمع وما ترى يوم تجد كل نفس ما عملت من خيراً محضرا.

(حكايــة)

قال يحيى بن أيوب: خرجت يوماً إلى مقابر باب خراسان ثم جلست في موضع أرى منه من يدخل المقابر فنظرت إلى رجل دخل المقابر مقنعاً فجعل يجول في المقابر وكلما رأى قبراً مفتوحاً مخسفاً وقف عليه يبكي فقمت رجاء أن أنتفع به فلما جرت إليه إذا هو سعدون المعتوه وكان يسكن في كوخ من مقابر عبدالله بن مالك فقلت له: يا سعدون أي شيء تصنع ههنا؟ فقال: يا يحيى هل لك أن تجلس فنبكي على بلى هذه الأبدان، ثم قال: يا يحيى البكاء من الندم والله أولى من البكاء على هذه الأبدان، ثم قال يا يحيى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾، ثم صاح صيحة شديدة وقال: واغوثاه يا الله يا الله مما يقابلني من الصحف، قال: يا يحيى فغشي علي فأفقت وهو جالس يمسخ وجهي بكمه وهو يقول من أشرف منك لو مت مكانك:

كلفتني وجداً فليس أطيق   وسقيتني خمراً فلست أفيق

وسددت عني باب وصلك قاصداً   لما صددت فما إليه طريق

وجعلتني أصلى بنار تشوقي   فأنا إليك مع الزمان مشوق

شهدت لي الزفرات أن بباطني   كبداً ثوى فيها جوى وحريق

إن لم أرق دمعي عليك صبابة   فلأي شيء بعده فأريق

فإلى متى وصل أسر بقربة   يوماً ولا عدله تحقيق

لا راحة مع العاشقين مع الهوى   يقضي بها قرب ولا تفريق

أرفــق عــلي وداً لــذا أمــرضــتــه إن الــطبيب مــع الــمــريض رفيــق

يا من تعثر في ذيل هرأه متى يبدو من التوبة الصباح يا من غره ليل الشباب هذا فجر المشيب قد لاح أبلغت قوتك في طلب القوت وفي الكبر نرجو الصلاح يا كهول البطالة قص الهرم من عزائمكم جناح أملك في الهند وربما نعشك عند الصباح أين من حصن الحصون وغدا في لهوه وراح أبادهم الحدثان فكم لهم تحت اللحود لو سمعت من صياح يودا أحدهم ساعة من عمرك عساه بالأقالة يرتاح يا معشر المذنبين هذا مأتم الأحزان فأين البكاء وأين النواح إن فاتك طب وعظى فستقوى عليك الجراح أحدد نصل دينك بالتنصل لعلك تلحق بالصحاح سيندم المفرطون يوم هتك الأستار يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار.

(حكايــة)

قال جعفر السقا: خرجت يوماً من بيتي في يوم ممطر فإذا أسود مطروح على مزبلة مريض قال: فجررته فأدخلته إلى بيتي فلما أمسينا دعاني وقال: يا أبا جعفر لا تفسد ما صنعت أقعد عندي وفاح البيت بريح المسك وصار ريح جبتي وكسائي وأكوابي وجرتي وكل شيء في البيت ريح المسك:

نشــأه القــرب نشــرهــا مــعــطار وشــبــاهــا فــيــه لــنــا أوطــار
اتنشق عــرفهــا فقــد عــطر الكــو ن وطــابــت بــطيــبــه الأقــطار
فــإليــهــا صــغــت قــلوب أنــاس كلمــا استنشقــوا النســائم طــاروا
وعــليــهــا ذابــت قــلوب كــرام كــل قلب منهم بــهــا مــســتــطار
وعــليهــا بــكــت عــيــون بــدمــع قــصــرت عــن سبــق لــه الأمــطار

فقال لي: اقعد عندي ثم قال بيده هكذا ألا تضيق على جلسائي انزل يا أخواه ارفق بي يا ملاذي ثم خرجت نفسه، فقلت: أبيع كسائي وأبيع جبتي وأشتري له كفناً، قال: وطرق بابي أناس كل يقول مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن يا أبا جعفر:

أشكــو إليــك تبــاريحي وأشــواقي ومــا أُلاقي بكم من فيض أمــاقي

ولوعة سكنت بين الجوانح ما ... ألقى لها غير وصل منكم واقي
أين الذي كان ما بيني وبينكم ... من الوصال ومن عهد وميثاق
أخذتموا القلب من جسم بقي دنفا[1] ... يوم الرحيل لمن خلقتمو الباقي
خلقتموني طريحاً عند كاظمه ... دمعي شرابي ولي من ذكركم ساق
من لي يبلغكم مني السلام ومن ... يهدي إليكم تباريحي وأشواقي
أشعلتم في الحشا ناراً ببعدكم ... فهل يحل لكم بالنار إحراقي

واعجباه كم لي أحدث قلبك وما عندك خبر ضيعت شبابك في الغفلة وتبكي عند الكبر كيف استلمت فرش المعاصي ما الذي أعمى منك البصر تعصي من خلقك من نطفة وقدر عليك وقدر بيد خزائن السمٰوات والأرض ويستقرض منك ويتخذ وللذي عندك محتقر له البحر المسجور ويطلب منك دمعة تطفىء بها لهب مستعر جفت عيونك من ماء الخشية وما لك عبرة فيمن اعتبر ما أرى الشقاء إلا من أصل الفطرة لا حيلة في الأطرش ولا طب في الأعمى وقد عدم البصر فبالله بادر بالتوبة قبل ظهور الأسرار يوم تُبدلُ الأرضَ غَيرُ الأرضِ والسموات وبرزوا لله الواحد القهار.

(حكايــة)

قال أبو هشام: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها شبونة فنزلت في بعض رباعنا فكنت أسمع لها في الليل نحيباً وشهيقاً، فقلت للخادمة: أشرفي على هذه المرأة فانظِري ماذا تصنع، فأشرفت فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعةرأسها إلى السماء فقلت: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئاً غير أنّها لا ترد طرفها عَنْ السماء فقلت اسمعي ما تقول قالت: لا أفهم كثيراً من قولها غير أني أسمعها تقول أراك سويتها من طين لازب غمرتها بنعمتك تغذوها من حال إلى حال وكل أحوالك صيرتها لها جنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالدوم على معاصيك أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعلها بلى وأنت على كل شيء شهيد قال ثم صرخت وسقطت فأخبرتني الجارية بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فإذا بها قد ماتت:

(١) الجسم الدنف: الجسم المريض.

أهيم إلى ذكـر الحبيـب صبابـة إذا ما أرى من نحوه البـرق يلمـع
إذا هب لي منـه نسيم أخـالـني لمسـراه أحشـائي تكـاد تقـطع
نمـا حبـه فـي كـل قلب كـأنـه شفـاء الضنا المعتـاد بـل هـو أنفـع
ومن ذكـره يُسبى[1] الحـزين كـأنمـا تبـاشر منهـا السمع يسـرى ويـرجـع
ومن لاسمــه في كـل قلب حـلاوة هـو الشهـد طعمـاً بـل ألـذ وأنفـع
إذا مـا جرى ذكـر الحبيب تقـطعت بـذكـراه أكـبـاد رقـاق وأضـلـع
لـه مـوقـع في كـل قلب كـأنمـا بـه في ريـاض جنـة الخلد يـرتـع
تفـوق صفـات الـواصفين صفـاتـه على أنهـا تـدعـوا أؤمـل يـطمـع

ويحك كم تبارز في المعاصي من حولك يا عبد السوء كم أبعدك عن طريق من عمد لك أظننت أنه أهملك بل أمهلك إن مشيت للطاعة أبطأت وللمعصية ما أعجلك يامأسور في سجن الغفلة لا يدري حيث سلك أعمت بصيرتك الشهوات فأنت هالك فيمن هلك ملأت ديوانك بالجرائم وملك الموت قد برز لك من الهرم أمتلأ نهر غمرك وانقطع من قواك أكلك بادر ساحل التوبة لا أم لك طاب السماع ليت شعري ما الذي شغلك إن انقضى المجلس وما تبت فأنت مطرود ما قبلك إذا رأيت محامل التائبين تمر بك فعلق بأذيالهم أملك بادر باب الحبيب قبل أن يطري دستور الملك وتندم حيث لا ينفع الندم والأعذار يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار قال ابن صبح قلت لعبدالله البراني كم هذا البكاء مساءاً وصباحاً فأخرج لي يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة فنشرها ثم قال يا سعيد إذا كان الجواز على الصراط مثل هذه فأي قدم يثبت على مثل هذه ثم أخذني البكاء:

متى أراكم على ضعفي تجـودونـا يـا من جفونـا وقـالـوا مـا يـريـدونـا
أمـرضتمـونـا بـطول البعـد أسفي بحـرمـة العهـد عـودوا ثم عـودونـا
بحق عهـد تقـضى مـن وصـالكـم إن كـان تـرضيكم البلوى فـزيـدونـا
وعـذبـوا مـا استـطعتم يـا أحبتنا إلا مـن البـاب حـقـاً لا تـردونـا

(١) السبي: الأسر.

وأذل من رام تقريباً لغيركم أوهم بغير سواكم ذاك مجنونا
فانعشونا بقرب من دياركم وبالتحية حيونا وأحيونا

ويحك إذا حضرت المجلس قلت أتوب يا طالباً للفاني وهو بالباقي مطلوب يا يوسف الأسف متى ترى يعقوب تدعي أنك تطلب الدنيا كاسباً وأنت بالفناء مسكوب كم تسلبك الأيام نفائس عمرك وأنت مسلوب يا موثقاً بالغدر أنت في أسر الهوى في أسلوب أما علمت أن كل نفس عليك مكتوب تمشي سوياً وقلبك في غيها مكبوب جسم حي وقلب ميت والظاهر غالب والباطن مغلوب إلى متى يناديك المولى ولا تتوب إن فاتك محمل المجتدين فالتحق بساقه السحر عسى عطفه من المحبوب فأهل الحرمان عن باب الحبيب مبعدون حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون.

(حكاية)

قال ذو النون المصري(١) خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فبينما أنا ما بين الناس وإذا بيدين قبضتا على رجلي فقلت من أنت خل عني فقال أنا سعدون المجنون أين تريد يا أبا الفيض قلت أريد المصلى أدعو الله عز وجل فقال: بقلب سماوي أو بقلب خاوي فقلت: لا بقلب سماوي قال: انظر يا ذا النون لا تتبهرج فإن الناقد بضمير ثم قال لي: تدعو وأؤمن على دعائك أو أدعو أنا وتؤمن أنت على دعائي فقلت تدعو أنت وأؤمن على دعائك قال: فصف قدميه ثم قال: إلهي بحق البارحة ألا أمطرتنا الساعة قال ذو النون: فوالله لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين وعن الشمال حتى التقت وجاء المطر كأفواه الترب فقلت له: بحق معبودك أي شيء كان بينك وبين الله البارحة فقال لا تدخل بيني وبين قرة

---

(١) ذو النون المصري: واسمه ثوبان بن إبراهيم وكان أبوه نوبياً توفي سنة خمس وأربعين ومائتين «٢٤٥هـ».

كان متصوفاً وله أثر في الصنعة، وكتب مصنّفة، فمن كتبه: كتاب الركن الأكبر، كتاب الثقة في الصنعة.

راجع الفهرست لابن النديم ص٥٠٣، والطبقات الكبرى للشعراني [١/ ٥٩، ٦٠، ٦١].

عيني فقلت: لا بد أن تخبرني فأنشد وجعل يقول:

أنست به فلا أبغي سواه ... مخافة أن أضل فلا أراه
فحسبك حسرة وضنى وسقم ... بطردك عن مجالس أولياه

ثم تركني وولى هارباً رضي الله عنه:

دعوى المحب غراماً وهو لم يذب ... يوم النوى بعدهم هذا من الكذب
هو الفراق ففراق ما جمعت له ... من كثر دمعك واجمع فرقة الكرب
وجد بوجد وإن لم تلق منفعة ... فأبخل الناس صب غير مكتئب
وقل لقلبك لا يصغي لعاذله ... فالقلب أحسن شيء غير منقلب
وابرز بحلية حال المسهام جوى ... والشوق في صعد والدمع في صبب
أحبابنا مذ بعدتم عن محبكم ... فما له بعدكم في العيش من أرب
بنتم وبنا فلا والله ما فترت ... خيول دمعي من جفني ومن جنبي
أكاد حين يحييني نسيمكم ... أميل نحوكم من شدة الطرب
وإن تذكرت أيام الصبا وصبا ... قلبي إليكم فواشوقي وواوصب
أين الليالي التي كانت بنا وبكم ... كأنما هي قد صيغت من الذهب
إن تجتني من ثمار الوصل واحدة ... ما تشتهيه بلا غيظ ولا تعب

يا هذا لما تعبت عن الخدمة نويت المتاب ليت شعري فيما اتفقت حاصل الشباب لما كنت غضاً ناعماً نأيت عن الأحباب فلما عدت يابساً عدت إلى الباب كم غيبت من الأتراب تحت التراب أم تراهم كيف جفاهم الخلان والأصحاب ما كأنهم كانو وكافي اجتماع وأتراب تفلوا إلى بيت الأحزان فلا نجا من مجاب كم تحضر مجالس الذكر والحال ما حال عجباً عجاب جسمك في المجلس وقلبك وراء الستر فمن يسمع الخطاب إذا لم تحرك قلبك لوعظي فالذي منك فرق التراب تراب سترى ما يحل بالعصاه من الهوان والهون حتى إذا جاء أحدهم قال: رب أرجعون.

(حكايــة)

قال: حكى بعضهم أن الفضيل بن عياض[1] وقف بالموق والناس يدعون وهو

---

(١) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي، خراساني المنشأ من ناحية مرو =

يبكي بكاء الحزينة فلما كادت الشمس أن تغرب فيض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسوأتاه منك وإن عفوت:

يـا نسيم الـريـح هـل من وقفـة ... علنـا من قـربهم نـشفـي الآلام
كـن رسـولـي بـسـلام عـائـد ... لـحبيبـي وأقـره مني الـسـلام
لم تثـر شجوى حمـامـات اللوى ... بـل غرامي علم الشجـو الحمـام
عجب من فقـد قـلبي بـعـدكم ... كيف لم أفقد مع القلب انصرام
عـنـدكم عـقلي فـرد وأبـعضـه ... أحمـد اللوعـة فيكم والغـرام

كأني في روض مريح أزهاره معار فيه المطر من عرف دارين غصون عباراته تذلل بفواكه المفاكهة قطوف معانيه دانية لنيل كل ذي فهم نهره دائم المد كأنه يستمد من البحر الحكمة أطيار فصاحته لها تغريد على أفنان البلاغة كم أطرب تغريدها من ذي فهم كم على حافاته من لؤلؤ علم منثور كم نظمت فيه من سلك المسالك وانتحبت من يواقيته فصوص إشارات الخواتم العارفين وجمعت أفخر جواهـر الأحوال للسالكيين ويتيمة فرائده لا تصلح إلا للقطب وما بقي من صفير استعاراته إذا دق كحل به عين البليد اعتبر يتلمح من الفهم ولو ينقد السماء إلّهي ما أصنع ما حيلتي ما قصي همتي في الآخرة همه وتلهفي على الفائت هفوة وقد خالطني أخلاط التسويف فأقعدني عن النهوض وحل دين الكبر وجائني التفاضي بلا مهل وفقري من الطاعة ثابت في مجلس حاكم القضاء فأسجنني في سجن الصبر فارحم غربتي فليس لي من ينقذني من ولد عمل ولا والد علم وخزائن عفوك مملوءة وصدقات مغفرتك واسعة تسمح فبفضلك وإن تعذب فبعدلك ولك الحمد في الحالين اخواني ناشدتكم الله من حاله مثل حالي فليساعدني بدعوة أن يرحم الله غربتي إذا أنسيتني الذاكرون وإن يذكرني برحمته.

الفصل الثاني

الحمدلله الذي تعرف إلى أوليائه بنعوت الجلال فعرفـوه داوم به عليهم

= من قرية تعرف بقندين، مات بالحرم الشريف سنة سبع وثمانين ومائة ١٨٧ هـ رضي الله عنه. الطبقات الكبرى للشعراني [١/ ٥٨].

فوافقهم بالانس فألفوه ألهم أسرارهم فبذكره لهم ذكروه يباهي بأحوالهم الملائكة وكيف لا وقد أحبهم وأحبوه حمى إقليم قلوبهم من أطراق الغفلة أن لا يطرقوه أحرزوا حاصل العمل في صندوق الأخلاص وختموه تفقدوا دفاتر أعمالهم من تخليط الخطايا وصححوه خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوه الأمانة فيما ائتمنوه نالوا العقود من محبهم وفوق ما طلبوه والمحروم في تيه الحرمان حرموه وما رحموه وأخجلته في المحشر وسرابيل الذل ألبسوه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه والحمدلله الذي اخترع الموجودات بلا شريك ولا معين تعالى في علق شأنه عن صفات التكوين والتلوين استوى على العرش وينزل إلى السماء لاستغفار المستغفرين ﴿**والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**﴾[1] نعم اليمين أحسن كل شيء خلقه الأنسان من طين ابتدعه من نطفة حقيرة وسيرة في أقاليم الأطوار فإذا هو خصيم مبين سلط عليه الشهوة ليعلم أنه ذليل مهين فأهل المعاصي جفت من أعينهم العبرات فلا معين ولا معين والأحباب بالباب يناديهم حبيبهم ونداء المحبين سارعوا إلى مغفرة من ربكم جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

والحمدلله الذي لا تعيره الحوادث ولا يبليه تعاقب الزمان والدهور أول لا من عدد آخر بالمدد ظاهر بالرصد وباطن فلا يحد يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا عنصر ولا طبيعة تقدس من حجابه النور المعطل أكمه والجاحد أعمى والمجسم أعشى والمشبه في سجن الغفلة والجهل مأسور أنزل من المعصرات ماء أحيا به النار منظومة والمنثور نقله إلى الأغذية تتولد عنه المنى لإيجاد الحيوانات من الإناث والذكور ليظهر فيهم فضله وعدله فهذا مجبور وهذا مكسور نقش في ألواح أرواحهم يوم الإيجاد حروف الحبور والثبور فكل يجري إلى ما لا يدري عيب عنهم عواقب الأمور ثم رماهم بسهم المنية الصائب فأصاب منهم النحور ثم عزاهم بقوله ليعلمو عدله في قضائه وإنه لا يجور كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عنها وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع والغرور فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه يكسر

(١) سورة الزمر الآية «٦٧».

الصحيح ويجور المكسور أحمده حمد من يرجو رحمته لعمله إنه الغفور الرحيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة استعدها اليوم النشور وأشهد أن محمد عبده ورسوله شفيع الأمة يوم يبعث في القبور صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الأزمان والدهور.

(إخوانـــي)

من أتعب نفسه وهو راحل إما شاهد حادي الجديدين يطوي من العمر والراحل إما يرى الليل والنهار يحملان الأعمار بالرواحل اما من ترى من قال تحت ظلها كيف تستر بظلها الزائل أما ما ترى من عمر ألف عام إذا سئل قال: ليست أيام قلائل أما ترى من شيد الحصون وعقل المعاقل أبادهم سيف الحمام وكل منهم عن ملكه زائل أين نوح وأين عاد وثمود وتبع والملوك الأوائل أين من ملكها شرقاً غربا رحل وما حظى منها بطائل نقل إلى بيت مظلم فاستوى فيه ذو السلطان الخامل اندرست معالمهم وعادت صعيدا، اندرست ليعتبر العالم والجاهل أما تسمع ندائهم وهم صموت أما تتيقظ يا غافل أين السرير والنعمان وأين كسرى والأيوان وأين ملوك بابل أبادهم الحدثان ليوم يقدمون فيه ما قدموه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

قال عبد الواحد بن زيد[1]: سألت الله عز وجل ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة فرأيت كأن قائداً يقول يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء قلت: وأين هي؟ فقال: في آل بني فلان بالكـوفـة قال: فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل هي مجنونة بين أظهونا ترعى غنيمات لنا فقلت: أريد أن أراها قال: اخرج إلى صحراء فخرجت فإذا هي قائمة تصلي وإذا بين يديها عكاز لها وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى وإذا الغنم مع الذئاب فلما رأتني أوجزت في صلاتها وقالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ههنا إنما الموعد غداً فقلت: رحمك الله من أعلمـك إني ابن زيد فقالت: أما علمت (إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[2] فقلت لها: عظيني فقالت: واعجباه لواعظ يوعظ

---

(١) عبد الواحد بن زيد: قال عنه الشعراني في الطبقات الكبرى [١/٣٩]. أدرك الحسن البصري وغيره.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب البر والصلة. باب الأرواح جنود مجندة رقم [٢٦٣٨].

ثم قالت يا ابن زيد إنك لو وضعت تعابير القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون مكنون ما فيها ثم قالت: يا ابن زيد إنه بلغني أن ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله عز وجل الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة ثم أنشأت وجعلت تقول:

تنهى وأنت السقيم حقا ... هذا من المنكر العجيب
يا واعظاً قام لاحتساب ... تزجو قوماً عن الذنوب
لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك بل تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي ... موضع صدق من القلوب
تنهى عن الغي والتمادي ... وأنت في النهي كالطريب

فقلت لها: إني أرى الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فأي شيء هذا؟ فقالت لي: إليك عني فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح بين الذئاب والغنم ثم أنشأت تقول:

لو كنت لي يوم النوى معينا ... لم تروني ماء اللوى معينا
لولا الهوى لم أدر ما طعم النوى ... ولا أذعت سري المصونا
واه لقلبي كل يوم جفوة ... تبدي لنا من الهوى فتونا
بانوا وفي الأحشاء منهم لوعة ... يمنعها الحيا أن تبينا
واستوطنوا يبرين من بعد الحما ... يا ويله الصب عن يبرينا
والهفى بعد الحمى وقد أرى ... تلهفي من بعدهم جنونا
حرمتهم طرفي عن النعيم فما ... أظن طرفي يعرف الجفونا
حاشا لسمعي أن يرى مستمعا ... عدلا وحاشا القلب أن يخونا

يا تائهاً في الشباب أما ترى فجر المشيب تشوق للمتاب وغصن شبابك غض رطيب فإذا عصى قلت: عسى وكم دعيت فلا تجيب أفقدتك أخلاط الخطايا عن النهوض إلى الحبيب لا لركائب المجتهدين ترافق ولا لنعمان المستغفرين تستجيب مارستان قلبك ما فيه من زخائر الأعمال طيب ولا طبيب بيت وصلك خراب وبيت هجرك عامر وعقلك حزين عليك كئيب كم أطير بك إلى الفردوس وأنت في دوس

من البعاد سليب هذا صباغ المشيب استوفى من القوة أوفر نصيب إذا كان الجسم في المجلس والقلب وراء النهر مطوياً في قليب ليت شعري مع من أتحدث ولمن أزمزم مع من أطيب الحنظل ولا يحلو ولو كان في وسط دجلة ولا يطيب لا في سماويه المجتهدين تصعد ولا على جسر الحساب تسلك ولا تحسن السباحة وكيف العبور إلى الحبيب يا رفاق التائبين البدار فمنزل الغير قريب كثر وزاد التقوى لطول السفر تجدوه ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ (١).

قال صالح المري: قال لي مالك بن دينار: اغد على صالح الجبان فإني قد وعدت نفراً من إخواني لزيارة أبي جهين مسعود الضرير فغدوت لموعد مالك إلى صالح الجبان فإذا معه محمد بن واسع وثابت البناني وحبيب العجمي وجماعة قلت: هذا والله يوم سرور فانطلقنا نريد أبا جهين وكان مالك إذا مر بموضع نظيف قال: يا ثابت صل ههنا لعله يشهد لك غداً قال وكان ثابت يصلي ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه فسألنا عنه فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة فانتظرناه فخرج علينا رجل ثم أمهل يسيرا ثم دخل المسجد فأخذ بيده حتى أقامه عند باب المسجد كأنه قد نشر من قبره فصلى ما شاء الله ثم أقام الصلاة فصلينا معه فلما قضى صلاته وجلس كهيئة المهموم فتزاحم القوم في السلام عليه فتقدم محمد بن واسع فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من أنت يرحمك الله قال رجل من أهل البصرة قال: ما اسمك قال: محمد بن واسع قال: مرحباً بك أنت الذي تقول هؤلاء القوم أنك أفضلهم لله أنت إن قمت بشكره ما لك اجلس فجلس فقام ثابت البناني فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله قال ثابت البناني قال: مرحباً بك أنت الذي تزعم أهل هذه القرية إنك من أطولهم صلاة اجلس فقد كنت أتمناك قال: فقام إليه حبيب العجمي فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: حبيب قال: مرحباً بك أنت الذي يزعم هؤلاء القوم إنك لم تسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاك فهلا سألته أن يخفي لك هذا اجلس يرحمك الله فأخذ بيده وأجلسه إلى جانبه ثم قام إليه مالك بن دينار فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له: من أنت

---

(١) سورة آل عمران الآية «١٠٦».

يرحمك الله؟ قال: مالك بن دينار قال: بخ بخ أنت الذي يزعم هؤلاء القوم إنك أزهدهم اجلس فالآن تمت أمنيتي على ربي عز وجل قال صالح المري: قال أنت الفتى القارىء قلت: نعم قال: اقرأ يا صالح فابتدأت فقرأت فما استتممت الاستعازة حتى خر مغشياً عليه ثم أفاق وقال: عد في قراءتك يا صالح فقرأت وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلنا هباء منثورا أصحاب الجنة ويومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فصاح صيحة ثم هدا فدنونا منه فإذا هو قد خرجت روحه رحمه الله وهو ميت فخرجنا فسألنا: هل له أحد قالوا: عجوز تخدمه تأتيه في بعض الأيام فبعثنا إليها فجاءت فقالت: ما له قلنا: قرىء عليه القرآن فمات قالت: صدق والله من ذا الذي قرأ عليه لعله صالح القارىء قلنا: نعم وما يدريك من صالح قالت: لا أعرفه غير أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول: إن قرأ علي صالح قتلني قلنا: هو الذي قرأ عليه قالت: هو الذي قتل حبيبي فكفناه ودفناه رحمة الله عليه فيا أهل المعاصي متى يكون عن دار الغفلة لإقلاع هذا المشيب يخرب من شبابك مشيد القلاع اسمعوا نغم حاد ينادي من حاد عن السبيل يراع وأنذرهم يوم الأزفة إذا القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع:

سلام على قلب تعرض للهوى ... سلام عليه أحرقته شجون
وعذبه هم يهيج حزنه ... فما لهم والأحزان فيه فتون
الأهل على الشوق المبرح مسعد ... وهل لي على الشوق الشديد معين
ألام على فيض الدموع ولا أرى ... محباً كئيباً للدموع يصون
أيسلي حمام الأيك من بعد إلفة ... ويصبر عنه كيف ذاك يكون
ولم لا أبكي ثم أندب ما مضى ... وراء الهوى بين الضلوع دفين

يا من ثوب ثوابه بالمعاصي يمزق يا من وجهة توجهه بالغفلة اخلق إذا طلبت الآخرة سامحت وإذا طلبت الدنيا تتحقق همتك في طلب الدنيا كالثريا وفي طلب الآخرة في الثرى ولا أسف ولا قلق سبقت السعادة لقوم كل منهم إلى الحبيب استبقى فأهل الشقاء كلما راموا الممات طبق عليهم من الخذلان طبق يا أهل الذنوب كلنا أهل مصائب فأين البكاء وأين الحرق إن لم تصالح مولاك في مجلس الذكر أما تخاف باب العمر يغلق تطلب أرباح الصين وأنت زيف الشهوات هيهات

غيرك سبق أما تستحي تعصي من صورك من علق همتك أبرد من كانون متى تعود أحر من كانون وشيطان سوقك احترق هذا منادي الموعظة ينادي برحائل التائبين: **﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾**.

(حكـــي)

عن سهل بن عبدالله[1] قال: مرض رجل من أولياء الله عز وجل مرضاً مشكلاً فكان الناس إذا رأوه قالوا به جنة فأكثروا عليه فلما عظم كلام الناس في أمره قالوا له: نعالجك فقال لهم: يا قوم اعلموا أن لي طبيباً إن سألته داوى لي كل عليل لكني أنا لا أسأله أن يداويني فقيل له: ولم ذاك وأنت محتاج إلى الدواء؟ فقال: أخشى إن برئت من هذه العلة طغيت فقيل له: ولم أن لنا مجنون فقل لطبيبك هذا أن يداويه فقال: نعم ائتوني به فأتوه برجل في عنقه على عظيم ويداه مشدودتان إلى عنقه في قيد ثقيـل قد استمكنت منه العلة قال لهم: خلوني معه فنهض جهال القوم إلى يديه فحلوها وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه وأغلقوا عليه الباب وهم يظنون أنه سيفض إليه بمكروه فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وخرج إليهم وكلمهم بكلام عاقل وهو يبكي بكاء شديدا فقالوا له: اخبرنا بقصتك وما كان منك فقال: دخلت على هذا الرجل وإذا على ما قد علمتم من علتي لا أعقل شيئاً كما رأيتموني فقربني منه وأدناني وجعل يده على صدري والأخرى على رأسي فحسست بطعم السر يدب في جسمي حتى ما زال ما بي فقالوا: ادخل معنا إليه فنسأله أن يدعو الله عز وجل لنا فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه في البيت وستره الله عنهم

---

(١) سهل بن عبدالله التستري: هو سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رافع التستري، له من الكتب: ١ ـ دقائق المحبين، ٢ ـ مواعظ العارفين، ٣ ـ جوابات أهل اليقين، توفي سنة ٢٨٣ هـ.
له ترجمة في المراجع الآتية:
١ ـ طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢١٥)، ٢ ـ الفهرست لابن النديم (٢٦٣)، ٣ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٦٨٥)، ٤ ـ العبر (٢/ ١٠)، ٥ ـ اللباب لابن الأثير (١/ ١٧٦)، ٦ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردى(٣/٩٨).
أقوم بعون الله الآن بتحقيق تفسير سهل بن عبدالله التستري (محمود محمد محمود حسن نصار).

فمن عقل منهم عظمت ندامته وكثر أسفه قال سهل: وهذا رجل من بيت المقدس يقال له ادريس بن أبي خولة:

وحقكم وهـو عنـدي غـايـة القسم ... لأجعلن نـديمي بعـدكم نـدمي
وإن تـزايـد فيض الـدمـع بعـدكم ... لأمـزجـن دمـوعي فيكـم بـدمي
لـلائمي فيكـم من فـؤادي هـوى ... أفناه شوقي بـرد السمع عن صممي
مـا هبت الـريـح من تلقـاء أرضكم ... إلا ذكـرت لـيـالينـا بـذي سلم
أيـام لا أقتنـع فيهـا بـوصلكم ... عرضت عنها فهي كالطيف في الحلم
واهـا لما قـد مضى لو دام مـربعـه ... واهـا ووجـدا عليـه كيف لم يـدم
أراكب البيـد يفنى مهمهـا عجـلا ... ويقـطع السيـر بـالسيـارة الـرسم
أعجـل بـدار سليمى واقـر سـاكنهـا ... مني السلام وطف بـالـربـع واستلم

يا بائعاً نفيس أنفاسه بأبخس ثمن يا من يسكن الدنيا وليست له سكن بعت ما يبقى بما يفنى وما فطنت الغبن ظاهر باطن وما بطن يا مرائياً استوى في ظلمة السر والعلن ما تمشي إلا في ظلمة الشهوة يا أعمى البصيرة يا من هو بالغفلة ممتحن لم تبادر بالشهوة بحرق نفسك كأنك فراش ويحك الزم فراش الحزن أتنسج على نفسك خيوط الخطايا وأنت تفرح كدود القز يموت وسط ما حصن ويحك إذا عصيت المغيث فالمستغاث بمن معاشر الفقر طاب السماع فإن لم تطيبوا فمن كان استنشق نسائم الزفرات من زوايا القلوب، فيا معشر السالكين **﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾**[1].

(حكـي)

عن مالك بن دينار[1] قال: احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوماً بعد يوم

(١) سورة آل عمران، الآية «١٣٣».

(٢) مالك بن دينار: هو أبو يحيى كان مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي، وكان من كبار الزهاد الوعاظ، وكان يكتب المصاحف، روى عنه أنس بن مالك وعن جماعته من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين=

نستسقي فلم نر أثر الإجابة فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرون حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نرى أثر الإجابة فانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني في المصلى فلما أظلم الليل إذا بأسود رقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدي إلى كم تردد عبادك فيما لا ينفعك أنفذ ما عندك أقسمت عليك بحبك لي ألا ما سقيتنا الساعة الساعة فما استتم كلامه حتى تفتحت السماء وجاء المطر كأفواه القرب فما خرجنا حتى خضنا الماء فتعجبنا من الأسود فتعرضت له وقلت: أمّا تستحي مما قلت قال: وما فعلت؟ فقلت له: قولك بحبك لي وما يدريك أنّه يُحبك فقال: تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسي أين كنت أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته أتراه بد أني بذلك إلا لمحبته لي ثم بادر يسعى فقلت: ارفق بنا فقال: أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير ومضى وأنا أتبعه حتى دخل في دار نخاس فلما أصبحنا أتيت النخاس فقلت له: هل عندك غلام تبيعه للخدمة؟ قال: نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج واحد بعد واحد وأنا أقول غير هذا إلى أن قال: ما بقي عندي أحد فلما خرجنا إذا بالغلام الأسود قائم في حجرة خربة فقلت: بعني هذا الغلام فقال: هذا غلام مسوؤم لا همة له إلا البكاء فقلت له: ولذلك أريده فدعاه وقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه فاشتريته بعشرين دينار فلما خرجنا قال: يا مولاي لماذا اشتريتني؟ فقلت: للخدمة قال: ولم ذلك؟ قلت: ألست أنت صاحبنا البارحة بالمصلى قال وقد اطلعت على ذلك فجعل يمشي حتى دخل مسجد وصلى ركعتين ثم قال: إلهي وسيدي سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين أقسمت عليك ألا قبضت روحي الساعة فإذا هو ميت رحمه الله فبقبره ويستسقى وتطلب الحوائج إلى يومنا هذا

= وتوفى نحو سنة ١٣٠.

انظر تهذيب التهذيب وصفة الصفوة [٣/ ١٩٧، ٢٠٩] حيث روى ابن الجوزي كثيراً من أقواله.

من عزيري يوم حلوا في الحمى من مجيري من هوى قد برحا
نظرة عادت فعادت حسرة قتل الرامي بها من جرحا
سل طريق العيس من وادي الغضبى فعسى الأحباب جازوا روحا
وأسأل الزوار ما العهد بهم تركوا نجدا وملوا الأبطحا
يا نسيم الريح من كاظمه أنت هجت الجوى والبرحا
الصبا إن كان لا بد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
يا ندامای بسلع هل أرى ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا ذكرونا عهدكم رب ذكرى قربت من نزحا
اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا
قد شربت الصبر عنكم كارها وسقيت السم فيكم سمحا
وعرفت الهم همي بعدكم فكأني ما عرفت الفرحا

يا أخي كم تسعى في غير الطريق والحق واضح عليك طرش الغفلة فلا تعي لنصح ناصح تبيع الباقي بالفاني ولا تدري أخاسر أنت أم رابح ويحك كم إصراراً كم تماسى الذنب كم تصابح إقليم عمرك الكبر وهذا علم الشيب لائح كم على الخطايا قد امتلأ الدستور بالفضائح ملك الملك وأنت لا تستفج القبائح كل عمرك ليل غفلة متى يتلمح من فجر يقظتك لائح هواك في الفاني منجرو في الباقي متهم فكيف يستوي الصالح والطالح قد ينال الوقفة من وراء النهر ويحرمها من في منى قد حضر غدير لا يطمح إليه طامح إن فاتتك التوبة قبل الحمام فثكلتك الثواكل وناحت على مصائبك النوائح إما أن تتوب وإما أن تصالح البقاء في الآخرة حقيقة وفي الدنيا زور.

كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فازوها الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

(حكاية ابن الجواد)

قال: كنت ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح وإذا قد طلع علينا شاب

والصبيان من حوله يرمونه بالحجارة ويقولون مجنون فدخل المسجد وهو يقول:

اللهم أرحني من هذه الدنيا والدار فقلت هذا كلام حكيم من أين لك هذه الحكم فقال: من أخلص له في الخدمة أورثه طرائق الحكم وأيده بأسباب العصمة وليس بي جنون وغسق بل قلق وفرق ثم إنه أنشأ يقول:

كن من جميع الخلق مستوحشا	من الورى تسري إلى الحق
واصبر فبالصبر تنال المنى	وارضى بجزئي من الرزق
واحذر من النطق وآفاته	فآفة المؤمن في النطق
وجد في السير مجدا كما	شمر أهل السبق للسبق
أولئك الصفوة فيمن سما	وخيرة الله من الخلق

فنسيت الدنيا عند حديثه ثم ولى هارباً فأنا متأسف عليه ويلاه أرى الزوايا من أرباب الأحوال اقفرت أين الذين كانت المحاريب بدموعهم تعطرت أين الذين كانت مجالس الذكر بأنفاسهم تنورت أين الذين كانت أحوالهم لزوايا القلوب قد تعمرت أين الذين كانت كراماتهم على أحوالهم ظهرت أين الذين كانت أنهار الحكم من قلوبهم تفجرت أين الذين كانت قلوبهم عند سماع ذكر الحبيب تفطرت أتراهم فقدوا أم عزائمنا الناقصة عن طريقهم قصرت جدوا وهزلنا ونمنا على فراش الغفلة وعيونهم في الدجى سهرت جعلوا هممهم كذا كيف يراهم من همتهم في الفاني تحيرت كلما زادت أحوالهم صفاء زادت أحوالنا كدرا في الحرمان وتغيرت ستعلم قولي إذا حللت القبور. **﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾** [1]:

يا غادياً في لهوه ورائحا	إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم تخاف موقفا	يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر	كيف تجنبت الطريق الواضحا

---

(١) سورة آل عمران الآية «١٨٥».

وكيف ترضى أن تكون خاسرا يوم يفوز من يكون رابحا

مجلس الفضائل كعبة قصده وزمزم رقده ذلك لما شرب وذا لما سمع له عرفانه ذكر العارفين شعره وذكر شعائر الصالحين مناه منى التائبين خيفة ذكر الخائفين مقامه مقام النادمين مسعاه مسعى السالكين رمى حمراته رمى ذنوب المذنبين حلق كماله حلق رؤوس التائبين محلقين ومقصرين عمرته وعمر أيامه في الأسبوع ويوم وقوفه يوم الجمعة طوافه طواف والملائكة بالتائبين الحاضر فيه للدنيا لا يصاد لأنه في حرمة التائبين والعفو يشمل المتفرج والقاصد إلا الحاسد وإبليس فإنهما مطرودان عن باب المسجد هذا مجروح لما عين من نزول الرحمة وهذا مغموم لما سمعه من البلاغة والحكمة إلَهي بعد أن أطلقت لساني بالتحدث عليك ثبت عليه توحيدك يوم الحاجة إليه يا حبيب المحبين تراني أمدح أحبابك وآثر محاسنهم ولا تطلق لي جامكية عفوك إلَهي أدخرك اليوم الحاجة ولا فقر مني ليوم حلول المنية فلا تقطع بي يا بار يا وصول إلَهي إن عصيتك بجوارحي فقلبي بتوحيدك طائع فاغفر له بطاعة القلب معصية البدن.

(إخوانـي)

من وجد منكم حلاوة في خلوته فليذكر أن له في التوبة نصيباً فلا ينسى الذليل أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون.

الفصل الثالث

الحمدلله الذي تنزه في كماله عن التشبيه والتمثيل والمثال وتوحّد في وحدانيته عَنْ المؤانس والمؤازر والمشير وتغير الحال وتعاظم في قدرته عن الصاحب والصاحبة فلا تدرك عظمته بالعقول ولا تنال وتكبر في كبريائه عن الولد والوالد والأعوان على اختراع الأعوان وتقدس في قدس طهارته عن التحييز في النسيان في الماضي والمستقبل في الحال وتعالى في ديمومية دوامة عن التحديد بالفوق والتحت والأمام والوراء واليمين والشمال وتفرد في أزليته عن تعداد الجزء والكل والبعض والجوهر والعرض والتخيل والخيال وتسرمد في سرمدية بقائه عن التأثر بدوران الأدوار وتعاقب الدهور والأعوام والأيام والليال وتغدو في عزٍ قهر عن

صفات التلوين والتكوين وزيادة الكمال والاستكمال وامتنع في كمال وجوده عن تكييف الكيف والكم والأين والصفة والمقايسة وكل هذا في حق القديم[1] محال لا يسأل عن الافتتاح وجودة بمتى ولا عن استوائه بكيف فتعالى الله الملك المتعال ولا يستدرك في أفعاله نقص فيقال لو ولا يكشف ستر قدرته أحد فيقول لم جلت عظمة ذي الإكرام والجلال لم يزل حياً قديرا عالما مريد سميعاً بصيراً متكلما بكلام لا يوصف بأدوات القطع والاتصال استوى على العرش لا استواء حركة واثقاً يتجلى في القيامة لأوليائه فينظر أهل اليمين ويحجب عنه أهل الشمال فسبحان من احتجب في سرادقات عظمته وأعجز الخلائق عن إدراك حقيقة ذاته وحيرهم بالقيل والقال أحمده حمد من وقف على ساحل بحر التوحيد فشاهد ما فيه من الأحوال وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها الهول السؤال وأشهد أن محمد عبده ورسوله الذي بصرنا من العماية وهدانا من الضلال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أرجو بها الشفاعة إذا انقطعت الآمال.

(إخوانــي)

ما تنزه منتزه في نزهة أنزه من منتزه التنزيه ما ابتدأ مبتدأ في مبدأ بدايته بأعجب من توحيد من ليس كمثله شيء ما استشرف مستشرف من مستشرف بأشرف من تشريف من ليس له مبتدأ أول ما يتأول متأول ابتدأ أوليته آخر تأخر الفكر عن منتهى نها به ظاهر في ظاهر الظواهر لا يدرك بالإدراك فمدرك البواطن لا يدركه ومن تقدم لنيل الإدراك ألقى في الدرك باطن في باطن المصنوعات لا تدركه البواطن بعز جلاله عقلت أولية العقل بعقال العجز عن السفر إلى حضرة التكييف بالكيف حاده من حده تكلف من كيف الحد من حاد إلى الحد عثر في مهواه التلف من استفهم عنه بمن القديم كيف يستفهم عنه بكيف شعاع أحديته أذهب ظلمة المثال شهاب كماله أحرق شهب الأمثال المتشبهة في بحر الكلف والجاحد في بريد التلف والمنزه على ساحل النزاهة أين أهل السماع:

يـا من بـاسم حبيبـه يتـرنـم   هـذا هـو الاسم الأعـز الأكـرم

---

(١) ليس من أسماء الله الحسنى اسم القديم إنما من اسمائه الأوّل والآخر.

أقلقت أربــاب القلوب بــذكــره فــاحكم بما تهــوى فــأنت محكم
لا تــطلبن ســـواه والــزم ههنـــا إن كنت تــدري مــا تقــول وتفهم
انشــد بهــذا البيت بيتــاً شــائعــاً قـــد حـــار فيــه عـــاشق ومـتيـم
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي مــتــأخــر عــنــه ولا مــتــقــدم
أجد الملامـــة في هــواك لــذيــذة شغفــاً بــذكــرك فليلمــني الــلوم

(يا أخــي)

كيف يصار بشبكة الخيال من لا يحصره أين كيف يطلب الوصول إلى من لا تحد غايته بإلى كيف يجول الحس فيمن ليس له جنس إن طلب الوهم إشارة الفهم هام عين العقل أرمدت عن نبيل شعاع التحقيق عجز السؤال عن مكنون كنهه من تقدم ساحل بحر القدم بقدم قد فقد لسان الحس ترجمان الموجودات ولسان العقل ترجمان المعاني موحد لمن ليس كمثله شيء جوهر أحديته في بحر الأزل كيف يدركه الغائص لا بداية له فيقال من ولا نهاية فيقال إلى ولا يجاوز مجاز فيقال عن ولا حد تحديد فيقال من كم تزاحم من فكر على باب التحصيل للكيف ما دخل مشروح أوصافه منشور على إيوان الأفاق

(حكايــة)

قال ذو النون المصري: كنت أسير في جبل لبنان فدخلت كهفاً فرأيت فيه رجـلاً أشعث أغبر ذا منـظر مهول وهـو قائم يصلي فـوقفت انظر إليـه حتى أتم صــلاتـه فسلمت عليــه فـرد الســلام ثم قـام إلى صـــلاتــه فمــا زال يصلي حتى صلى العصر ثم استند إلى حجر فبدأته بالكلام وقلت: يرحمك الله أوصني فقال: يا ذا النون من أنسه الله بقربه أعطـاه أربع خصال عزاً من شهق شهقة خر مغشياً عليه فلما أفاق قال: يا ذا النون انصرف بسلام فقد قرب لقاء الحبيب فقلت: أريد منك الزيادة فقال: أحبب مولاك ولا تبغ به بدلاً ثم صرخ صرخة منكرة فوقع ميتاً فهالني حاله وأخذت في غسله ودفنه وإذا بعين ماء انفجرت من أيمن الكهف فغسلته وكفنته ببعض ردائي ثم صليت عليه فلما صليت وفرغت من الصلاة عليه إذا أقبلت سحابة سوداء فاحتملته وأنا انظر إليه وأقبلت تهوى به قبل الشام

فبقيت متعجباً مما رأيت هذه طريق الأبرار فأين السالكون:

يا مالك القلب رقا ... رفقاً بعبدك رفقا
قد لذ لي فيك وجدي ... فلست بالوجد أشقا
أنا المعذب حقا ... فلست أطلب عتقا
لا تبقني بغرامي ... وعلني لست أبقى
جد لي بكاس وداد ... مملوءة منك صدقا
فإن أمت فسروري ... بأن أموت وتبقى

(يا هـذا)

المجسم المشي والمعطل أعمى والمنزه بصير بواب ألطافه ينادي بلطيف الطاافة ينادي بلطيف ألطافه.

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا﴾(1).

مائدة رزقه على سماط البسيطة مبسوطة.

﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾(2).

إن أتى مفلس التوبة إلى بابه بلا فلس أخرجت له مائدة ولا تقنطوا إن بالغت سهام الذنوب في المذنبين جذب نصلها التنصل بالاستغفار.

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾(3).

طيب عفوه ينأى من أشفى على شفا فله منا الشفا مؤذن صلاته وإني الغفار الغفار لمن تاب ساعي إسعاده يجعل بتعجيل.

﴿إن الله يحب التوابين﴾(4).

---

(1) سورة البقرة الآية «٢٤٥».

(2) سورة الملك الآية «١٥».

(3) سورة الزمر الآية «٥٣».

(4) سورة البقرة الآية «٢٢٢».

ألوان الألسنة ناطقة بتوحيده والوجود أعلام الأعلام بتفريده والعالم حروف في رق رق عبوديته وكل مقبل ومدبر يدور في تدوير دائرة مشيئته هذه صفات المحبوب فأين الأحباب:

أهـيـم بـه حـتـى أمـوت بـحـبـه ... وحـولي من الشـوق المبـرح خنـدق
وفوقي سحاب يمطر الشوق والأسى ... وتحتي بحـار بـالـهـوى تتـدفـق
وكم مجلس لي قـد جلست لذكـره ... فما قمت حتى كدت بالدمع أغرق
وكم ليلة قـد بـدت أرعى نجـومهـا ... كـان فـؤادي بـالـثـريـا مـعـلق
إذا حن طرفي للكرى صاح صائـح ... أفق لا تنم إن كنت في الحب تصدق
حرام على المشتاق أن يألف الكرى ... فـكـيـف ينـام الـليـل من يـتعـشق

(يا هــذا)

افتح بصيرة الاستبصار ترى تدوير دوران الفلك بإحكام حكمته والنيران يتجاريان في ميدان مديد قدرته والكواكب كالكواعب مستشرفة من رواشن الفلك تعلم الوجود الدلالة على تعظيم عظمته والأرض بساطاً لانبساط البسيطة في مواكب مناكبها بتخصيص إرادته ينزل من عرش عظمته إلى سماء لطفه فينادي هل من معترف بخطيئته فيلبسه رداء عفوه ومغفرته وكسى ديباجة الأرض بمصيغات الأزهار وأنطق على رباها مواشط الأطيار كل ببلاغ بلاغته ينادي بربو بيته وكلل أغصان الأشجار بأمتان مسبولة على الورق تصغي إلى عجيب زمزمته ينشد الكامل والمديد من بديع صنعته سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته:

نصحتك فانـظر في العـواقب كلهـا ... فمـا العلم إلا في التمـاس وجـوده
وَسِـر طالِبـاً ماء لتـروي بـه الـظمـا ... فـرى الفنى من بعـد نيـل وردوده
ترى العالم العلوي في بهجة العلى ... وعـقـد جمـان مـن بيـع عـقـودة
وتخبـرك الأرض التي أنت فـوقهـا ... بمـا قـد حـوت من ملكـه وجنـوده
فسبحـان من دلت بـدائـع صنعـه ... عـليـه ومـن عـم الأنـام بـجـوده

(إخوانــي)

كلامي يصلح الأجساد والأرواح فهو للعارف مجلس أنس وللتائب مجلس حزن

ولأهل النهايات إشارات ولأهل البدايات عبارات، إلّهي أنت بسطت لساني في ميدان العبارة ببدائع الثناء عليك ونثرت محاسن صفاتك بأن أذل من أساء عليك فاجعل مجلسنا روضة تزهو الربيع على المصيف، إلّهي ثبت جميل ما وهبته لنا من توحيدك إلى الممات، إلّهي ارحمنا بمن قبلته فقلبته فعاد من نحاس المعصية إلى ذهب التوبة يا أرحم الراحمين.

الفصل الرابع

الحمدلله الذي تنزه في الإلّهية عن الشريك والوزير والصاحبة والولد وتقدس في عظمته عن التشبيه والمثيل فهو الحي القيوم الفرد الصمد وتكبّر في جبروته عن الأضداد والأنداد وتعالى في عزته فهو الواحد الأحد وسما في علو ربوعيته عن القياس بالأقطار والجهات فلا يقاس ولا يحد وتنزه في عز قهره عن التكييف والتجسيم فلا تدركه البصائر والأبصار يترقب ولا يرصد واستغنى في دوام كماله عن المعين والظهير والحرام والأنصار والاستعانة بالعدد والمدد وتعاظم في قهره واختراعه الأكوان والموجودات عن الآلات والسلاح والعدد وتوحد في قدم دوامه عن أن يدركه كيف ولا أين ولا يحصره عدد ولا أبد جل عن الجوهر والعرض والطبيعة والعنصر والنور والظلمة فشمل الملحدين تبدد رفع السماء بيد القدرة على متن الهواء بلا دعائم ولا عمد وبسط الأرض على متلاطم البحار وجعلها مهاداً تمهد أزلي سرمدي أبدي تعالى كماله عن زيادة الاستكمال وتوحد أوحد الخلائق لظهور القدرة وأبادهم ببطن الحفرة ثم يجمع الله من شملهم يوم القيامة ما تبدد يسعد من يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ماضي فينا قضاؤه فلا يتوقف ولا يتردد أحيا قلوب العارفين وأمات قلوب العاصين فله الحكم فيمن أشقى وأسعد جعل غيب الخاتمة في خزائن الغيب فعند طي كتاب الأجل يظهر للعبد ما نسخ وجدد فيا معشر الغافلين تيقظوا من سنة الغفلة واعلموا بأن نعيم الدنيا زائل وأن عذاب الآخرة سرمد غلب والله علينا حب الشهوات فأهلك منا من صدى وورد واعلموا بأنه اما نعيم أو عذاب سرمد فسبحان من فتح بصائر أوليائه لفهم الأسرار وقالب قلب المحروم وقد حمد أحمده من قيدته الذنوب فهو من الرجاء والخوف في كمد وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً

ولا والد عن ولد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شمر عن ساق الاجتهاد في دين الله وجاهد وجهد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ضربوا أبواباً الحسام هام من أبا وجحد.

(إخواني)

لما أشخصت يدا القدرة وجوده الوجود من كن كن إلى باب التكوين تسابقت للظهور فخرج توقيع العناية على يد رسول التوفيق ادخل يا محمد فقد عقد لك لواء الأولوية ونقش على خاتم محبتك كنت نبياً وآدم بين الماء والطين يا محمد ما رقمت حلة كتاب إلا وأنت طرازكم كماله ما عقد مجلس مجالسه في يوم ألست ألا وأنت قد عقد لك العقد واستوثق في ميثاق النبيين لتؤمنن به ولتنصرنه فمن ذلك اليوم اشتاقت الملائكة بسماع الصفة لمشاهدة الموصوف فجاء الإسراء لتجديد عهدك بالعهد وتسكين شوق أرباب الشوق:

يا خليليّ في الهوى خلياني ... واعذراني فيه ولا تعذلاني
مت من هجره فلو قد حباني ... من يوماً بوصله أحياني
فليكن كيف شاء فهو موادي ... وفؤادي حقاً وحان جناني
فسقاني من خمره كان محبو ... بي قديم الزمان منها سقاني
فهي راح لم تسترح في القناني ... لا ولا دنست بأهل القيان
صوفيت إذا صفت وراقت ورقت ... عتقت في الأديان لا في الدنان
عصرت قبل آدم في أوان ... من خطاب وقبل كل أوان
ما سمعتم ألست فهي سلاف ... قد شربنا منها قديم الزمان
إن خمر الخطاب فيها نجاة ... وحياة الأبدان والأديان
ليس من خمر الجهول الذي قال ... اسقنيها حتى أموت مكاني

الواسطة تنظم قبل السلك والقطب قبل الدور والأنبياء بدور وهو الشمس والعالم جسم وهو الروح كم درس ألقى عليه عند (قاب قوسين) فحفظه.

﴿سنقرؤك فلا تنسى﴾ (١).

---

(١) سورة النجم الآية «٩».

كم سر ألقى في صدره عند سدرة المنتهى فأسره فسره لو تعلمون ما أعلم شارك بظاهره البشر ﴿فقال أنا بشر﴾[1] سما برج سعده على أهل السماء فقال لست أحدكم على الملأ الأعلى فرط سيادته لما قال له جبريل ها أنت وربك انبسط على الانبساط فقال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) تواضع في كمال حسن الخلق فقال: (لا تفضلوني على يونس بن متى)[2].

يا من بديع جماله أسباني ... يا من يقلب خاطر الانسان

لولاك مولى ما سمحت بهجتي ... والشوق يجذبني بغير عنان

لما نظرت إلى فؤادي نظرة ... شغل الفؤاد بها عن الجثمان

وسمعت داع للغرام أجبته ... فأنست منه النصح حين دعاني

وسرت سرائر سرتا في دوحة ... محروسة عن كل ما هو فان

وإذا نظرت البرق شعشع ناظري ... لعلاك لا للبرق والحدثان

وأهيم من هب النسيم تمايلا ... بهواك لاهب النسيم سجاني

وتميل من حدو الحداة معاطفي ... أصبوا إلى ذكراك لا الألحاني

لما ترهب راهب الوجود في دير ألست أنس بالأنس فلما دخل مدينة التركيب استوحش من وحشة الحس فنزع عرق الأنس واشتاق عليل المحبة إلى شم النسيم نجد الوجد فما هو إلا فاح له عرف الفيح بقرب بحران العافية ففتح بصيره المغمي عليه فشاهد رسالة المحبوب فهش من الدهش فمن شدة الفرح قال زملوني زملوني دثورني لعل اللطيف القادم باللطف يسمح بالإقامة فقيل يا مزمل يا مدثر أجب من استغاث بك من الأرواح الموحولة في شرك الشرك فأنت شفيع المحاسبين يوم قم فأنذر:

ماذا أقول وأنت فوق مقالي ... يا خير مبعوث وأصدق قائل

الله أعطاك النبوة منعما ... وحباك منها بالمحل الفاضل

فغدوت في ثوب العلى متزملا ... ومن الهدى في ثوب عز شامل

---

(١) سورة النجم الآية «١٤».

(٢) كنز العمال: (١١/ ٤٣٤) رقم (٣٢٠٤٠) ورقم (٣٢٦٨٢) وعزا الأوّل السيوطي للحاكم عن جابر.

ونصرت بالرعب الشديد على العدى ومـواقـف مـشـهـودة ودلائـل

يا معنى الوجود إن كان الجزع حن فقد اشتاق القمر لمشاهدتك فانشق فشق قلوب أهل الشقاق إن سح الحصى فقد تكلم الضب إن زويت لك زوايا الأرض في زوايا سرك فقد طويت لك بادية الأسراء إلى سدرة المنتهى كم عاداك من عاد إليك كم قلب قلاك فقلبه القدر فانقلب إليك ما طاب وقت عبادة الأنبياء حتى صليت بهم في صوامع السموات ما جلى عروس رسالتك ليلة الأسراء على منصة قاب قوسين إلا ليعلم الملأ الأعلى قالوا أتجعل فيها ما حوت صدفة آدم من يتيمة الوجود اجتمع في مدرسة درسك رئيس الملائكة يسألك يقول: يا محمد ما الإسلام وما الإيمان وما الإحسان سلك خواص الجن محجة دينك فقالوا:

﴿إنا سمعنا قرآن عجبا﴾.

وصحبك من فضلاء الأنس من كان به الأنس ثاني اثنين إذ هما في الغار إن كان شمس النهار تظهر كل مطموس فشمس شريعتك تظهر الغيب (اتقوا فراسة المؤمن)[1] إن كان في النجوم هدى للسالك في المسالك فكم بنجوم آياتك من مهتد إلى الحق إنما يظهر كمال الشرف إذا استشرف من شرف إلى المحشر فشارفت فشرفت بالشفاعة فآدم ومن سواه تحت لواء دلائل لا تعجب من قول المرسلين لا أسألك إلا نفسي ونبينا محمداً ﷺ وهب نفسه لصاحب النفس فيقول: (لا أسألك نفسي إلا أمتي) ما كل محبوب له ذلك العصافير تطير لطلب العش والدرة تتملق أن تأكل لله درة من محبوب ما أعذب ذكره:

ظـالمي من لامني في قـمـري فـذر إن شئـت أو لا تـذري
أنـا إن نـمت فـعنـدي طيفـه وأنـيـسـي ذكـره فـي سـهـري
كـل عضـو شـاهـد لي بـالهـدى حسبكم لا تسـألـوا عن خبـري

(١) كنز العمال: (١١/ ٨٨) رقم (٣٠٧٣٠)، ولفظة: اتقوا فراسة المؤمن: فإنه ينظرُ بنور الله عز وجل أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي كتاب التفسير ومن سورة الحجر رقم (٣١٢٧)، وقال غريب: كلاهما عن أبي سعيد؛ الحكيم وسمويه، والطبراني وابن عدي عن أبي أمامة؛ ابن جرير عن ابن عمر.

كلما اشتقت تمنيتكم ضاع عمري في المنى وا عمري
لم أجد شمس الضحى طالعة قبل هذا ركبت في بشري

كم غرت غرته من غر جاء ليغر فعند مشاهدة وجهه قال: ما هذا؟ وجه كذاب غاية جمال يوسف إن فتن نسوه لله در جمال من أفتن الكونين لعاب فيه كم شفاء فيه ما توجت أمة منى بتاج أشرف من تاج.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[1].

ما أحلى أصحاب نبي بمثل جلبه.

﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[2].

دير الليل عامر برهبان المتهجدين من أصحابه كتائب الجهاد غصت بهم في النهار فهم في الليل رهبان وبالنهار فرسان إلّهي ما أظنك تقطع رجاء من أطلقت لسانه بتوحيدك والثناء على نبيك إلّهي كما جعلته دليلاً عليك اجعل ذكره وسيلتنا إليك إلّهي ما أكثر نعمك علينا إذ هديتنا بخاتم النبيين إلّهي بقرب من قربته إلى معرفتك قربنا إلى عفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

الفصل الخامس

الحمدلله الذي يجري الأمور على وفق إرادته في تعاقب الليل والنهار خلق المخلوقات وقدرها بحسن خلقه فسبحان مقدر الأقدار جعلها كيف يشاء وصرفها فيما يشاء وربك يخلق ما يشاء ويختار فقدر كل خلق قبل وجوده وجف القلم بذلك المقدار أدارا الفلك بسر أودعه ليعلم به مقادير الليل والنهار أظهر حكمته في الأكوان والترتيب وأبدع فيه من كل شيء عجيب لتجول فيه البصائر والأفكار خلق القلم وقال له اكتب بقدرتي ما اقتضته مشيئتي فكتب الأرزاق والأخلاق والآجال والأطوار وخلق اللوح المحفوظ لحفظ سره وجعله قابلاً لقبول الأسطار ثم خلق العرش بسر التمام والكمال فتم به الاستواء دون الاستقراء خلق الصور مسرحاً

---

(١) سورة آل عمران الآية «١١٠».

(٢) سورة الفتح الآية «٢٩».

للأرواح فأعلاه أرواح المؤمنين وأسفله أرواح الكفار خلق البيت المعمور لحج الملائكة وعمره بلطائف الأسرار خلق سدرة المنتهى وجعل أوراقها ستراً من حر النار فإليها نهايات مقامات السائرين والسالكين إلى حضرة الجمال والأنوار.

﴿خلق السموات طباقا﴾.

وأسكن فيها الملائكة المصرفة الأقدار خلق الأرض وأسكنها أهل القبضتين من أهل الجنة وأهل النار مسبحان من ألزم الكل الحدوث وامتنع في الألوهية عن مدارك الأفكار أحمده حمد من أقعده التسويف فبقي يندب أطلال الديار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أتعلق بها عند حمل الأوزار وأشهد أن محمد عبده ورسوله المصطفى المجتبى المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أدخرها ليوم كشف الأستار لما دحا الله سبحانه مبسوط بساط الأرض ومهد مهادها لتربية المكنونات فافتخرت عليها السموات فنكست الأرض رأس الانكسار ومدت يد الافتقار تستعطي من غنى الوجود فجاد لها بقطع حجة من جاد لها وقال: يا سماء إن كنت افتخرت لظهور موجودات الظهور فأين أنت من شمس شريعة محمد ﷺ في إظهار الغيوب شمس سمائك لها أفول وشمس شريعة محمد ﷺ ليس لها أفول وإن افتخرت بحسن القمر ونوره فأين أنت من حسن جبينه المشرق ونوره ﷺ إذا كسفت شمسك وخسف قمرك تقبل الشفاعة من أهل الأرض والشفائع أفضل من المشفوع فيه وإن افتخرت بالنجوم للاهتداء بها في البحر والبر فأصحاب نبينا كالنجوم بأيهم افتدى اهتدى وإن كان فيك من النجوم رجوماً للشياطين فعمر رضي الله عنه فقأ عين إبليس وشهب إيمانه رمته وأهوته فلا يسلك عمر فجاً إلا هرب الشيطان منه سبعين فجاً وإن افتحرت باللوح المحفوظ يكتب عليه قلم مخلوق فلوح القلوب كتبه الخالق بيد قدرته بقوله: كتب في قلوبهم الإيمان وإن افتخرت بسعة الكرسي فأين أنت من سعة القلب.

﴿ويسعني قلب عبدي المؤمن﴾.

وإن افتخرت بنفخ إسرافيل للأرواح لإحياء الأجساد فأين أنت من نفخة حييت بها القلوب إلى يوم القيامة وأن افتخرت بعلو من في العلو من الأملاك

المقربين فأين من قصيده الاقتصاد التي هي أشهر من افتخارك هذا عزازيل كان إمام المقربين فتنفس بنفس سقى به كأس أسف هاروت وماروت استعير لهما شهوة لشهوة فجرى ما جرى وعند جهينة الخبر اليقين فكيف بمن عجنت بها طينة تركيبه وعقل عقل بعقال الهوى وإن افتخرت بالصافين والمسبحين فكم على أقدام الرجاء من ﴿**أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون**﴾[1].

وكم في رواشن الأسحار من سمار المستغفرين وإن افتخرت بشفقة ميكائيل وحيائه فأين أنت من أبي بكر فكم من حي حيي بشفقة أبي بكر وإحيائه وإن افتخرت بقوة جبريل وأقدامه فأين أنت من قوة عمر وإقدامه يوم والله لا يعبد الله سر بعد هذا اليوم وعمر حي وسرى نحو الكعبة فسرى عن الاسلام غمة الغم وإن افتخرت بنزول القطرات لأحياء موات النبات فأين أنت من سواكب العبرات لاحياء القلوب الموتى فكر!.

صدر شرح للإسلام فهو أوسع من سدرة المنتهى وإن افتخرت بأن الجنة فيك فقد اشتاقت إلى تسليم سليمان إذا تمهد ملك الجنة للساكن صارت الملائكة خداماً يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم والمقصود بالسلام أن يحظو بحظ الرد والمشاهد لأهل الجنة فهذه درجات المقربين لما أطلق لهم من ديوان الإخلاص بإنعام ويستغفرون للذين آمنوا وإن افتخرت بالعرش والطائفين فأين أنت من البيت والطائفين ففي زاوية العرش حجر أسود بالسودد قد أدرج في مدارج درج الميثاق يوم الست لما أهبط آدم بمنشور الخلافة مهدت له دار المملكة قبل النزول وزينت حومه الحرم للحرمة فالإحرام باب الاستغاثة وعرفان باب دخول السائل النيل لوسائل فلما بنى البيت الشريف أذن الله للخليل عليه السلام فالأذان على صومعة أبي قبيس بتأذين فأذن وقال: يا رب فهل يبلغ آذاني أحد قيل:

يا إبراهيم منك الآذان وعلينا البلاغ فلما دنا النداء من باطن الحجر أيقظ من وقع له يوم الست بقبض المبلغ فتزاحموا على باب الإجابة شعارهم لبيك اللهم لبيك.

---

(١) سورة آل عمران الآية «١١٣».

(حكايــة)

جلس عبدالله بن مسروف وزير هارون الرشيد يوماً بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين واستغاث رجل في رد عبد له هرب إليك أما كنت ترده إليه؟ فقال: بلى قال: فأنا عبدالله فررت إلى خدمته فاتركني فقد أردت الرجوع فبكى الرشيد ومن حضره بكاءً شديداً وقال: هذا رجل نجا من بيننا ونحن جلوس ثم خلى سبيله فخرج محرماً وهو يقول: لبيك اللهم لبيك فلقيه سفيان الثوري في بعض الطريق وهو نائم على الأرض والريح تسفي عليه التراب فسلم عليه وقال: يا عبدالله ما عوضك الله عما تركت فقال: يا سفيان عوضت الرضا بما أنا فيه ثم مضى قاصداً مكة فلما أبلغ شيوخ مكة والحرم قدومه خرجوا للسلام عليه فرأوا شعثه وجهده فقالوا: كيف رأيت شعثك وجهدك وصبرك على قطع المفاوز؟ فقال: كيف يأتي العبد المحرم إلى باب سيده إذا قاد نفسه إليه؟ والله لو قدرت كنت أسعى إليه على رأسه ثم أخذ يبكي بكاءً شديداً فقالوا له: ما هذا البكاء؟ فقال: شفيع قدمته لعله يقبل فبكى القوم عن آخرهم فلما وقع نظره على البيت سقط ميتاً رحمه الله:

جنـوني بكم حلى وغي بكم رشـد ... وحب الـورى هزل وحبي لكم جـد
رضيت بمـا ألقـاه من ألم الهـوى ... وأنـا كاسمـاً فهـو من أجلكم شهـد
وحقكم مـا طـاب لي بعـد بعـدكم ... دنـو ولا من غيـركم سـاءني بعـد
ولا سمحت بالصبر عنكم حشـاشتي ... لا بخلت بـالـدمع أجفـاني الـرمـد
وإني لأهـوى الشـوق حتى كـأنني ... على كبـدي من حـر نيـرانكم وقـد
وأعشق من وجـدي بكم لوم عـزلي ... ويعشقني من أجلكم فيكم الـوجـد
واستنشق الأرواح من نحـو أرضكم ... وأسـأل عنكم من يـروح ومن يغـدو
فحنـوا وجـودوا واسمحـوا وتعـطفـوا ... وكـونـوا كمـا شئتم فمـا منكم بـد

لما سمعت النوق حادي العناية يترنم وعل كل ضامر يتنغم خامرها السرور فأضنت أبدانها في السير ومدت أعناق السرى لاعتناق الملائكة يوم القدوم واعجباه كيف شاركت في المشقة شقة لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس:

رفقـا بهــا بــالله يــا جمــالهــا أمـا ترى الحـاجـز قـد بـدا لهـا
أليس حكم الشرع قد أوصى لها فكم قـطعت بـالسـرى أوصـالهـا
إن الـذي في الأرض قد أجالها قـضى لـهـا مـقـدراً آجـالـهـا
وصبر الـرفـق لـهـا نـوالـهـا وفـاز من بـالـرفق قـد نـوى لهـا
أسكـرهـا السيـر وقـد أمـالهـا يـمينهـا تـأخـذ أم شـمـالهـا

يا هذا والله لقلب النوق أقبل من قلبك هذا وما تعلم ما تحمل يا محروم من نصيب الحرم ما أحقك بالعزاء وحياتك لو شاهدت الجميع ليلة جمع لعلمت أن المنى لأهل مني.

(حكايـة)

قال علي بن الموفق: لما تمت لي ستون حجة قلت: احتبس في بيتي أستريح فهتف بي هاتف من جانب البيت يا ابن الموفق لولا إننا أحببناك لما دعوناك فقمت ملياً وقلت: ألهم إني أشهدك أن جميع حججي لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبقية المسلمين فلما وقفت الموقف ورأيت تلهف الناس قلت: يا رب إن كنت قبلت حجتي وفي الركب من لم يقبل فحجتي هذه له فهتف بي هاتف يا ابن الموفق أعلي كرمي تظهر الكرم وعزتي وجلالي لقد غفرت لأهل الموقف وشفعت كلا منهم في أهل بيته وأنا الغفور الرحيم:

دعـهـا فسـائق ركبـهـا الأشـواق ذكـر الـخـليط فـمـدت الأعـنـاق
شمت نسيم خـزام نجـل فـاغتـدت لا يـرتـجـي لأسـيـرهـا إطـلاق
لا الشـام شام حين يـذكـر نجـدهـا وجــدا بــذاك ولا الـعـراق عـراق
بـاعت حشـاشـة نفسهـا بـوصـالهم فـودادهـا لا يـعـتـريـه نـفـاق
لم تستمـع ذكـر اللوى إلا انتشت وكـأنـمـا غـنـى لـهـا اسـحـاق
وعلى العـذيب وبـارق لي جيـره وبـيـنـي وبـيـن زمـانـهـم مـيـثـاق
اتقت كنـز الـدمـع بعـد بعـادهم لـمـا شـكـت أمـلاقـهـا الآمـاق
قفت لي على جيش الغرام مساعداً فـلواء قـلـبـي بـيـنـهـم خـفـاق
ومتى قـدحت زنـاد ذكـر حـديثهم فـاحـزر حـشـاي فـإنـه حـراق

يا هذا حسن العهد من الإيمان وعهدة عهدك في صندوق الحجر من يوم الست جدد هنالك مصالحة الصلح ففي المصالحة حفظ المعاهد للمعاهد سائق حمله الشوق فإذا به قائم في المقام وعليه خلة القبول.

(إخوانـــي)

لذكر هذه المعالم في القلب رقة كأنها ركبت عند وضع الطبع بالوضع يا جماد الطبع متى أراك على نجيب الاجابة تجيب:

يــا من نهى عن اللوى وإن بــدت	أعــلام نــجــد واللوى فــبــاشــر
واستغن بــالشــوق الــذي يحسهــا	عن نغمـة الحـادي وزجـر الـزاجــر
واسمــح لهـا بــوقفــة إن عــرضت	على الغــويــر نفحــة من حــاجــر
أمــا تــرى عشــاقهــا إلى الصبــا	مــيــالــة الأعــنــاق والــمــحــاجــر
مــا ذاك الأنــجــدا لــم تــزل	مــنــتــجــع الأهــواء والــخــواطــر
تــصبــو إلــيـهــا والــمــزاح نــازح	أنــفــســهــا وأنــفس الأبــاعــر
فــنحــن نشــتــاق الــربــوع بــاللوى	وهــن يــشــتــقــن ربــيــع الــحــاجــر
يــا حبــذا مــا حملت أعجــازهــا	من الهــوى والمكنـون في الضمــائـر
وحبــذا بــرد الثــرى فــي ليلــة	تــسفــر عــنـهــا أوبــة الــمــســافــر
ومــجــمــع يــجــمــع بــيــن واصــل	قــد شــفــة السقم وبين هــاجــر
حــيث يــهــوى بــالــهــوى عــلائق	ويــلتقي بــالنــوم جفن الــســاهــر

واعجباه أهز أغصان وعظ وما تساقط ثمرات وجد ما أظن شجرة القلب إلا ماتت يا حسرة المنقطع ويا حزن من قطع أف لقالب بلا قلب واحسرتاه تحن النوق للحداة ولا تحن أنت المعاني المغاني:

هب لهــا من النسيــم رائــد	فعــادهــا من الغــرام عــائــد
نوق نفى عنها السرى طيب الكرى	فهي كما شاء الهــوى شواهــد
انحلهــا مــع الســرى أنينهــا	فقــدت النــســوع والقــلائــد
فــلا تخــالفهــا إذا مــا التفت	شوقا إلى نار الحمى يا قــائد
ولا تقــل لهــا لعن أن عثــرت	فهي حمــل شــوقنــا تكــابــد

مذ حكم البين عليها لم تزل   تبكي عليها البيد والفدافد

إلهي ما من الجماعة إلا من شرب من كأس الموعظة وربما أشغلهم النظر إلى جميل نوالك فلذلك لم يظهر على بعضهم الوجد إلهي بحق من بلغته لحرمه حرمك فلا تحرم المسجون بالمخالفة عزاء المصيبة وارحمنا بحرمه من رحمته ممن قبلته بفضلك ومنك يا أرحم الراحمين.

الفصل السادس

الحمد لله ستر أسرار الأقدار عن مدارك العقول فلا يطمع في كشفها طامع وقهر الموجدات بذل الحدوث فكل من سواه ذليل خاضع وأذل الملوك بذل البلا وحسرات الفراق والفجائع فأصبحت قصورهم من بعد نعيمها قد عفت رسومها فصارت أطلالاً بلاقع يود الفراق شملهم من بعد الاجتماع فما أغنمت عنهم الحجاب ولا التوابع عبثت بهم يد البلا فما لهم العائد وتركهم الراجي والطامع ليت شعري من غاب منهم تحت أطباق الثرى هل أعجبهم فيه البقاء أو منعوا الرجوع فلا راجع اندرست أخبارهم ومحيت آثاهم وشربت الأحباب منهم كؤوس الفجائع فلله كم شربوا تحت اللحود من حسرات حتى شر منها بكاس المدامع وتمنوا رجعه ساعة هيهات هل بعد سفر البلاد راجع فلله در قلوب العارفين ندبوا انقراض أيام الصبى واسالوا على فموات العمل فيها الدموع الهوامع فياض طردته الذنوب عن الباب اندب زمان الوحشة وراجع فالخائفون أقبلوا على المولى بدمع سائل وقلب من الهيبة خاشع فسبحان من كدر نعيم طالبي الدنيا فاعمى منهم الأبصار وأصم منهم المسامع أحمده حمد من لاحظ تصريف المقادير فهذا سائر إليه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها عند من لا تجيب لربه الودائع وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله ونور الرسالة في شريعته ساطع صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هب نسيم وسجع على الأغصان ساجع إخواني كيف الفرار من سرعة الصرعة وكيف الحيلة من تقليب القلوب وكيف تنفع سواكب العيون بلا عيوب ليت شعري من سلبك لباس الطاعة كم درست عليك الأيام حديث الربوع الدوارس كم أسمعك حادي المشيب رحيل ركب العمر وأنت في بحر الغفلة

تمارس كيف تشتري هوى النفس بفلس وأنت في متجر إيمانك تماكس كم تختلف إليك رسل المنايا وأنت تعلم أنك بينهم بعد قليل جالس ويحك إذا وسخت ثوب إيمانك بدنس الدنيا فيوم زينة الآخرة ما أنت لابس إذا تولى الحس انصدع العقل فعكس الحكمة العقل دليل والحس مدلول وإذا عكس فما أسرع الانعكاس لو وزن سرور الدنيا والحزن لوجد الحزن أكثر إذا اشتغلت بتجهز البنين والبنات متى تجهز عمرك لدار القبر نح على نفسك قبل أن يناح عليك وابك قبل أن يبك عليك.

قف بآثار الحمى نبك الدما ... وليال قد تقضت وزمان
كلما هز فؤادي طائر ... طار قلبي بجناح الخفقان
جرني الشوق إلى أرض الحمى ... وديار مقفرات ومغاني
ونحيبي في رباها أسفا ... أين سكاتك والعيد الغواني
شفني الوجد ننجد فإذا ... جن ليلي جن بالذكر لساني
قلت للائم لما لامني ... كف يا هذا فعندي ما كفاني
كيف لا أبكي لعيش ذاهب ... حسن أيام تقضت بالحسان

يا مقبل الدنيا كأنك بمدافع الأسف تجري ولا تدري كيف تجفو العمل الصالح وهو رفيق متى أراك تحاكم هواك عند قاضي المخالفة متى تقرطس سهم عزمك فتذوق حلاوة نيل الغرض ليت شعري أين الذين كانت حكمتهم حاكمة على القلوب ما أرى بصائر إلا عميت عن مشاهدة مشاهدهم إذا أشخصت الصفات لنا منهم شخصاً هربنا منه كأننا ضدان لا يجتمعان عميت عيون قلوبنا عن بصائر أهل البصائر ما أظلم الربع بعد رحيل الساكن ما أوحش الرسوم بعد ذهاب القاطن أفي هذا الجمع من يبكي معي أفي هذا المجلس أن تعي

قف على المنزل وأسأله فللّه ... من بعدهم من بعدنا قد نزله
ولماذا رحل الساكن عن ... سكن كان به جمله
طال شوقي فابك إن شئت معي ... واندب الربع معي ثم اسأله
خلني يا صاح عن عذلك لي ... قد قضى قلبي على من عذله
لا تزده ما قد حل بي ... فبقلبي شاغل قد شغله

حمله في الحب قد أودى به ان قلبي لم يطق ما حمله
ودع الحب وقد أودعني نار وجد في الحشى مشتعله
أيها الصب المعنى هكذا تطلب الحب وتهوى بدله

إخوانـي

كل يوم منزل والقبر أول منازل الآخرة أنت من أول خروجك من كن الرحم إلى صحراء الدنيا مسافر إلا أن الغافل لا يتزود لسفره إلى متى تبيع هذا الجوهر النفيس بالنقد الخسيس متى ثبت رشدك عند قاضي التوبة وتقبض مال العقل من دموع الحكمة فتنفقه في واجب العمل ويحك أطلب صدقه الهدى في قعر بحر الليل فلعل جوهر إيجابه يفي يضيع وقتك بتحصيل القوات ما يفي قوتك يقدر ما تعمل أف لنقمة بعدها نقمة إذا غلب على الطير حب الحية وقع في الفخ لو تكلفت ما كلفت كفيت.

حكايـة

قال بعضهم حضرت جنازة ومعنا أبو بكر الضرير وكان أمام الجنازة صبيان يبكون ويقولون من لنا بعدك يا أبتاه فقالها رجل لأبي بكر الضرير فلما انقضت الجنازة سألته عن حاله في هذه المقالة فقال كان لي أب شيخ كبير فقير فانتبهت ليلة فسمعته يقول لأمي أنا شيخ كبير فقير وأنت كذلك وكل الناس يقدرون على الخدمة فليت شعري ما يكون من حال هذا الصغير الأعمى ثم بكى فحزن قلبي لذلك فلما أصبحت مضيت إلى المكتب على جاري عادتي فما كان إلا يسيراً حتى جاء غلام إلى أم الخليفة للعلم الست تقول لك أن شهر رمضان قد أقبل وأحب صغيرا دون البلوغ يكون طيب القراءة فقال لي المعلم فخذ يا أبا بكر فأخذني الغلام ودخل بي إلى قصر الخليفة فدخلت إلى الست فسلمت عليها بأدب وشرعت في القراءة فبكيت طويلاً فغلبني أيضاً البكاء فبكيت فسألتني عن بكائي فأخبرتها عن ما كان بين أبي وأمي البارحةفبكيت ثم أمرت لي بألف دينار وكسوة حسنة وبغلة وسرج محلى وأجرت لي مائة درهم في كل شهر فرجعت بذلك إلى منزل أبي يا هذا أناء التفويض لا يزال يفيض والمجباة كم أنوح بلا نائح وكم أزمزم ولا متحرك جفت

عيون العيون فلا حيلة من عبر إلى ساحل الندم سالت عبراته ومن حزن على الفائت ظهرت حسراته.

نمت على سر الهوى أجفانه	كأنما دموعه لسانه
وقد شكا جور الزمان جائر	إذا خانه فخانه زمانه
وعيان الربع خرابا دارسا	تغلب فيه بعدهم غربانه
متنزلوا العقيق بان صبره	وعنده قد جمعت أحزانه
وما غفت بعد النوى جفونه	ولا خبت من الجوى فيرانه
دموعه تذرفها شؤنه	وناره تضرمها أشجانه
كم صاح إذ صبح الرحيل شاكياً	حين دخلت من أهلها أوطانه
يا حادي الأطعان طالت حسرتي	إن موتي قد دنا أوانه
ما حال من فارقه حبيبه	وبان بعد بينه أقرانه
وكيف لا يبكي لأجل مربع	فارقه برغمه سكانه
يا منزلا جار عليه دهره	وافترقت عن ربعه جيرانه
لئن خلا مكانه من أنسه	فإن قلبي أبدا مكانه

إلّهي افتح لنا من أبواب لطفك ما تقرب به علينا طريق الطاعة، إلّهي اسق عطاش قلوب التائبين غيث القبول، إلّهي انهج لنا سبيل ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾[1]، إلّهي أنلنا برد عفوك حتى تنطفي نيران شهواتنا، إلّهي اجعل شهواتنا لفرح بطاعتك يا أرحم الراحمين.

الفصل السابع

الحمد لله الذي أبكى عيون السحب بمدامع الحرق فضحكت لبكائه الأزهار وزين وجنان خدود الرياض بأنواع الزهر من أبيض وأصفر وأحمر وأكحل كالجلنار نضر حدائق الروض بصنوف النبات فراق رونقه للبصائر والأبصار عبثت أنامل النسيم بعيدان الشجر فتداعت لمجاوبتها قينات الأطيار فالزمر كالبلابل والمثاني كالفواخت والمثالث تحاكي نغمة الهزار وقصت الغصون لتصفيق أكف الأوراق

(١) سورة التوبة، الآية «٩١».

وحسن هبوب الريح أطيب من المزمار جعدت أيدي الصبار داء الماء فترت به مواسط السواقي ورواقص الأنهار تصد الربيع ربوع الربا بمفضى ومذهب ومذعفر ومعسجد كلون العقار وأرخت على قضبان الغصون ذوائب الأوراق وانعقدت في خمائلها إزره النوار وزمزم مطرب الاعتدال فتواجد خطيب الزمان طربا على قضاء الأوطار ورقت حواشي حلة الربيع فراق منظر الوجود والمنزل ميزان الليل والنهار وتبرج الحب في دقائق القلوب فتمايلت تمايل العاشق إذا شرب من سلافه الخمار وتأجرت نسائم الأشجار بنوافح المسك والمنثور والنسرين كأنه بيت معطار وانتظم شمل شتات النبات ودب الجمال في خدود الرياض دبيب العذار فما أجمل هذا العيش لولا تجريع كأس الفناء وتغير الدار بالدار فالعارفون جهدوا في عمل باق وزهد في عيش زائل وعلموا أنه نعيم راحل لا يستقر لقرارة قرار فللّه دار العارفين حرمت أجفانهم طيب الكرى فليلهم من كثرة الشوق نهار فسبحان من عطر أنفاس العارفين بمسك المعرفة وعفير الاعتبار أحمده حمد من بعد أبعدته الذنوب عن الباب فأقبل يلثم بفم الرجاء تراب الديار أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة فانتظم بها في سلك الصالحين الأخيار وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وعين الكفر قد طمس عين الرجاء فعاد برسالته كالنهار صلى الله عليه الحماية رياح العناية تحركت سحائب اللطف فساقت غيظ الموعظة إلى أرض قلوب التائبين فاهتزت أبدانهم للخدمة وقويت بالمجاهدة وقامت أزهار الاستغفار على سوق الأشجار وتفتحت أكمام الألسنة عن نوار الأذكار ونمت أطيار المعارف على أمتان البيان فرجح ميزان التوبة بأبين الأسف وفاحت رياحين الارتياح ولينوفر الوفاء ونسرين حفظ السر وياسمين اليأس عن الناس وأشرقت حمرة ورد الود ونعمان التنعم إلى عين الذكر فاستلت منثور الدموع وفاح قيصوم الرضى بالمقسوم ونرجس الرضا بالقبول فبدلت أرض قلب العاص من جدب إلى خصب المتاب بلطف التذبر ونادى لسان الاعتراف أن الذي أحياها لمحيي الموتى. إنه على كل شيء قدير.

ما فتح النور إلا أشدق النور ... فما انشغالك والمنثور منثور
وللربيع ربوع كلما ضحكت ... بكى على نشوات الخمر مخمور
ما لاح فيها على أوراقها قمر ... إلا وغشاه قمري وشحرور

يا حبذا ودموع الحداء ننسجها أنامل الريح لا أنها زور

إذ همت قطرات المدامع من سحائب العيون على أرض الخدود أزهر بستان الخشية وتعطرت أنفاس النفوس بطيب المراقبة وامتلأت عيون القلوب بماء المحبة وغنه بلابل الألباب على أمتان الفناء وقدحت زناد الأشواق نار المحبة في مجامر الفؤاد وصفا زمان المراقبة من غنيم الغفلة وبدا جمال المحبوب من غير حجاب فتسابقت الأبصار لرؤ ياه لقد أحسن المغني فأين أرباب السماع.

أترى يسعدني دهري به وأناديه على رأس الأمم
غلب الشوق فلا تحجبي يا حبيبي نظره منك بكم
خذ فؤادي ورقادي ثمنا واحكم الآن فمن عز حكم
قال لي شئت أن تنظرني عفرا الخدين في جنح الظلم
لا يراني غير طرف ساهر من عظيم الشوق نحوي لم ينم
من بكى من خيفتي في خلوه فهو من البعث يرى باري النسم
يتجلى مالك الملك له فيزول الغم عنه والألم

حكاية

ذكر عن عمر بن مالك عن أبيه قال كان بيني وبين علي بن المسامري مواخاة فلما مات رحمه الله كنت أتمنى رؤ يته في المنام فرأيته في هيئة حسنة وقد غمض إحدى عينه فقلت له يا أخي فارقتك من دار الدنيا وأنا أدري أن ما بعينيك ألم ولا بأس فما بال إحدى عينيك مغمضة فقال لي كنت في الدنيا في بعض الليالي أقرأ كتاب الله عز وجل فمرت بي آية وعيد فبكت هذه الواحدة وأمسكت الأخرى عن البكاء ثم غشى علي فلما أفقت من حالي قلت ما بالك لم تساعديني في البكاء فوحق محبوبي لئن أباحني النظر فيه وأعطاني مناي لأحرمنك النظر إليه فلما وصلت لحبيبي ومولاي قال لي يا علي ها أنا فتمتع بالنظر إلى وجهي الكريم فغمضتها وفاء بما قلت واعجباه هذه مراقبة القوم وكم لك من نظر، بحسرة وما عندك خبر بدا للقوم فجر الآخر مع فجر القرب فجدوا في السرى وأنت مقيم في الظلمة.

يا صاح وجه الصباح قد أسفر مخبرا بالرحيل إذ خبر

هـذا أوان السحـور فـاغـتـنمـوا — فـهـو سـحـور لأهـله يـزهـر
واجـتنبـوا الصحـو في محبتـه — ان شـراب الـوصـال قـد أسكـر
سمـاعنـا بـاسمـه وخلوتنـا خمرتـه — الـصـوف كـيـف لا نـسـكـر
وتـحتـفـي واحـة القلوب بـمن — مـيـدان ريـحـانـنـا بـه اخـضـر
بـسـتـان أنس الحبيب يخبـرنـا — بـان غصن الـوصـال قـد أثـمـر
فاغتنموا الليل قبل رحلته في سحر — بـغـيـر شـك أنـواره تـظهـر
يـا صـاح الـقـلوب تـعـرفـه — وهـو الـذي بـالعقـول لا ينكـر
مـا غـاب عنهـا لكن تغيب بـه — وهـو لهـا في الغيـوب قـد أحضـرا
ثـم تـجـلى لـهـا وكـاشـفـهـا — فـارتـجعـت وهي كـلهـا جـوهـر
حـصنهـا في حـصـون عصمـتـه — وصيـر الـذكـر حـولهـا عـسكـر
فـعـاد عـنـهـا إبليس ذا أسـف — إذا جـاءهـا طـامعـا فلم يـظفـر

يا معاشر السالكين غضوا أبصار البصائر عن النظر إلى الفضول بالمراقب بالمرصاد قيدوا خطا الخطايا عن الجولان في ميدان الهوى فالناقد بصير اجمعوا سهام الغيبة عن أغراض الأعراض فرب رمية أصابت الرامي كم كلمة كلمت قلب المتكلم وكم نظرة أذهبت نظر الناظر كم تحتقروا صغار الذنوب وبعوضة قتلت نمرود وبندقة قتلت فيلا إذا كان التسليط من غيرك فما ينفعك الحذر إذا كان التوفيق من غيرك فما ينفعك الطلب.

حكايـة

قال أبو الحسن الدراج خرجت سنة إلى الحج منفرداً فدخلت مسجد القادسية فرأيت رجلاً مبتلى في المحراب فسلمت عليه فرد السلام وقال لي يا أبا الحسن عزمت السنة على الحج منفردا قلت نعم قال لي فالصحبة فقلت في نفسي هربت من الأصحاب وأصاحب مبتلى فقلت لا فقال لي افعل قلت والله لا أفعل ذلك فقال يلطف الله بالضعيف حتى يتعجب القوي فتركته ومشيت نحو المنزلة فبلغتها من الغد ضحوة فدخلت مسجدها فإذا الشيخ جالس في المحراب فسلمت فرد علي السلام وقال يا أبا الحسن يلطف الله بالضعيف حتى يتعجب القوي قال فحرت في

أمره ثم سرت حتى بلغت الفرعاء مع الصبح فدخلت مسجدها. وإذا بالشيخ قاعد فقال لي مثل مقالته الأولى قال فأكببت على قدميه وقلت له يا سيدي إليك المعذرة أخطأت فعسى الصحبة فقال بالله وأكره أن تحنث ثم تركني ومضى فكنت والله ألقاه في المنازل إلى مدينة المصطفى ﷺ ثم غاب عني إلى أن قدمت مكة فأعلمت بحديثه أبا بكر الكتاني وسرياً السقطي وأبا الحسن المزني والجماعة فاستحمقوني وقالوا ذلك أبو جعفر المجذوب له إشارات ومكاشفات وأحوال من الله تعالى وما منا إلا من يتمنى على الله لقياه فلعلك إن رأيته تتلطف به حتى نراه فبقيت مترقباً له فلما كان يوم النحر جرني إنسان من خلفي وقال السلام عليكم يا أبا الحسن فنظرت فإذا به فقال سلم على أبي بكر الكتاني وسري السقطي والجماعة فهبت بكلامه حتى كأنه معنا ثم قال لي الصحبة فقلت نعم يا سيدي فقال أنت كرهتها أو لا ووكز الأرض برجله وإذا هو محمول على الهواء.

شـاع حبي في البـرايـا وعـلـن	كن دليلي في الهوى يا ذا المنن
عـلِمَ الـعَـالـمُ أَنّـي مُـغـرم	غيـر أن لا يعلمـوا حُبي لِمَـنْ
لي حبيبٌ لـست أهـوى غيـره	لم يـزل يلطف بي طـول الـزمن
حـاضر مـا غـاب عني سـاعـة	وهـو في قلبي وسـري قـد سكن
يـا حـبيـبي بلسـان الـعـربي	ولسـان العجمي يـا دست مـن
خـذ فـؤادي ورقـادي ثـمـنـا	لـك روحي ولـك سـري والعلن
جـد عـلى عبـدك أنـى مبـتـلي	سيـدي أن لـم تجـد أنت فمن
وإذا لـم أفـتـخـر بـيـن الـورى	بـك يـا مـولى المـوالي فبمن
أنـا عـبـد لـك قـد أوثقـتـني	لا تقـل لي بعـدهـا أنت لمن
واقـف بـالبـاب ارجـو كـرمـا	أنـا صـب مستـهـام ممتحـن

يـا مقلـب القلوب قلب قلوبنا لطاعتك حتى نقبل إليك وأنت مقبل علينا يا مفرجا فرجا على المكروبين افتح لنا بابا من أبواب عفوك حتى تتفرج في بستان لطفك يا أرحم الراحمين.

* * *

الفصل الثامن

الحمد لله الذي أظهر صور الموجودات من قعر بحر العدم وجعل الهدى طريقاً إلى سعادة من هداه وأضل من أذل في سابق الندم رتب مقادير التقدير من أحد الكتاب وأظهره بواسطة اللوح والقلم أدار الأفلاك بعظيم قدرته وأظهر بدورانها تعاقب الأنوار والظلم أعـجز فكر العقول عن معرفة ذاته فلا يتقدم إلى ساحتها قدم جعل الموجودات عنواناً لدلائل قدرته وأقامها للناظرين كالعلم أوسع على العالمين فضله وأسبغ عليهم سوابغ النعم حجب بصائر الغافلين عن شواهد الاعتبار وأظهرها لأهل الهمم منع المحرومين نيل المراد من يلتجىء المطرود إذا جار عليه الحكم قرب قلوب العارفين لحضرته بغير وسيلة ولا سعي يقدم واجباً وأمات وهدى وأضل وأعز وأذل وأعطى وحرم لا راد لأمره ولا نقـض ولا برم ولا معارض له فيما أمضى من القدر وحكم أقام أقدام المجتهدين على بابه في الظلمة اختارهم لحضرة أنسه وجعلهم أهل الفضائل والهمم حماهم بسيف حمايته ومدحهم في سائر القدم فقال عز من قائل في محكم كتابه العزيز المحكم:

﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾(١).

فسبحان من يعلم سر العواقب فيمن تأخر وتقدم أحمـده حمد عاجز عن شكر ما أولاه من جزيل النعم وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أختم بها سجل العمل إذا انختم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلـى سـائر الأمـم صلى الله عليه وعلى أصحابه ما تعاقب الأنوار والظلم.

إخوانــي

كيفْ القرار افتحو أصداف الأسماع لسماع الأسماع فلعل قطـرات المواعظ تعقد فيها جوهر المتاب كحد يعرض عليكم سمسار الموعظة سلع الآخرة ولا مشتري كم يتفتح لكم نوافح المسك لليقظة وزكام الغفلة غلب المغرور بطول الأمل يبيع ماء الشراب ثم يعود بظمئه واعجبا كيف تستحلي الدنيا وهي علقم في ذوق

---

(١) سورة النجم، الآية «٣٢».

المحاسبة لكن في ذوق مرض عرضك عارض الغفلة إلى الأعراض فلما عرضت عليك عروض الأعمال أعرضت جس طبيب التوفيق نبض تقلب قلبك للزهد ما وجد حركة فاقبل بعزي أعضاء التعبد قلوب التأبين زيتونة يكاد زيتها يضيء من شرب من كأس أنس المحبوب دام وجده .

طاب الشراب فهاتها يا ساقي ... راجهها الأرواح في إقلاق
وأدر كؤوس الوجد في أهل الهوى ... واعدل هديت بها إلى المشتاق
فلها التصرف في العقول كمثل ما ... يقوا جد المعشوق في العشاق
وامزج كؤوسك إن أردت ممازحا ... عجلا بفائض دمعك المهراق
وتغن أو نح مثل نوح حمامة ... ناحت على الأغصان والأوراق
وإذا اشتكت جور الزمان فقل لها ... بيتاً عجيباً سار في الآفاق
بي ما بك يا حمامة فاسألي ... من فك أسرك أن يحل وثاقي

يا هذا من مال إلى الغنى بالمال مال في المآل ومن سكن إلى دوام الحال حال أنها غنى الأبد سابقته سبقت ما يفي غنى الدنيا بزواله إذا أذكرت الدنيا تحرك قلبك وإذا أذكرت الآخرة سكن عزمك عن المتاب وجواد معاملتك كثير العثار وبصر بصيرتك فيه رمد وجوادك ليس الجادة فكيف تطلب اللحاق بالساقة. (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرع باب حذيفة بن اليمان في جنح الليل باكياً ويقول: يا حذيفة ناشدتك الله لما عد عليك رسول الله ﷺ أسماء المنافقين فهل عَدَّ اسم عمر فيهم فبكى حذيفة فقال: لا والله فقال: أنت عندي صادق القول ولكن عملي يشبه عمل القوم) هذا حديث القوم وما عندك خبر يا من جسمه معنا أين رحل قلبك.

امزج دموع العين منك بالدما ... واسق بها دمنة آثار الدما
وقف على رسم الديار منعما ... فطالما كنت بها منعما
وصل إلى واد الحما مسلما ... إن كنت تشتاق الكثيب والحما
وابك على الدار فقد بان الذي ... كنت به مكتئباً متيما
وواصل الدمع على عصر الصبا ... والزمن الخالي الذي تصرما
وخل تذكار الخيام بعدما ... بان الذي كان بها مخيما

إخوانـــي

تعالوا ننح على ما أصابنا فالحزن واحد يا هذا علمت بأي وسيلة ربح القوم وحسرت كان أملهم اقصد من النفس ونومهم ألطف من السنة والسهر عندهم ألزمن عناق المحبوب نسيم السحر عندهم عرف دارين تصاعد أنفاسهم أرق من النسيم الصبا عيونهم جارية كالعيون هممهم همومهم روض رياضهم زاهر بالمعاملة شوق شوقهم عامر بالاجتهاد عاطر أنفسهم يفوح بعبير الاعتبار هذه صفات القوم فاقنع أنت بالسماع.

حكايـــة

قال بعض العارفين رأيت في مكان محباً ومحبوباً وقد جرى بينهم كلام فاقبل المحبوب يصول على صاحبه بالكلام وهو مطرق ذليل يجاوبه بصوت رقيق ويتلطف به ويقبل يده مرة ورجله أخرى فتعجب منهما ومما جرى بينهما ثم انصرفت عنهما وفي قلبي مـا فيه فـوجدت جمـاعة من الصـوفيـة فحـدثتهم ممـا جـرى بين ذلك المحب والمحبوب وكان في الجماعة فقير صادق فشهق شهقة عظيمة وبكى حتى غشى عليه فلما أفاق سئل عن حاله فقال أعجبني ذاك المحب وعز المحبوب فهيج أحزان القلب وجرد حسرات الوجد فجعلت من تقصيري واعتراضي ودعواي وإسرافي في الغفلة فغلبني حالي

لم أنس إذ عـزلوني في محبتهـا	ولي غريم غـرام نحوها ساعي
قـالوا تحب لسلمى وهـو هاجـره	وقد سعى بك في أبياتها الساعي
فقلت لا تعذلوني في الغـرام بها	قلت اقـطع منهـا حبـل أطمـاعي
وسـوف أنشـــد من بيتــه شـغف	بهـا ليسمـع قـولي شـامـع واعي
نعم أحب لسلمى فاتركو عـذلي	القلب قلبي والأوجـاع أوجـاعي

ومنعنا نجوا من مهالك الهوى ووقعنا نالوا المنى وحرمنا لبسوا لباس الإيمان وسلبنا وتعالوا إخواني نبك علينا ونندب مصابنا بمصابنا فلعل زمن القريب يقرب.

حكايـــة

قال مالك بن دينار رأيت جنازة وما خلفها سوى رجل واحد فقلت جنازة وما

معها سوى رجل واحد فقيل هذا من المذنبين الخاطئين المسرفين فما يصلي عليه أحد قال فصليت عليه ثم أدخلته في قبره ثم مِلت إلى ظل شجرة كانت قريباً منه فغلبتني عيناي فنمت قريباً منها وإذا بملكين نزلا فقال أحدهما للآخرة اختبر عينيه قال ما نظر بهما إلى خير قط قال اختبر أذنيه قال ما سمع بهما خير قط قال اختبر يديه قال ما بسطهما إلى خير قط قال اختبر رجليه قال ما سعى بهما إلى خير قط قال انظر إلى قلبه فنظر طويلاً ثم قال لصاحبه يا أخي رأيت قلبه مملوء بالتوحيد قال اكتبه سعيداً قال فاستيقظت مسروراً بما رأيت وما صار إليه من السعادة.

إخواتــي

أين زفرات الأشواق أين عبرات العشاق أين دموع التائب المهراق.

اسق المطايا من سواقي أدمعي ... وارتع هديت بنا لتلك الأربع
واستنجد العرصات عن وادي الحمى ... إن خبرتنا بالبدور الطلع
فهناك آثار الخيام وما بها ... عند البقيع سوى المحل البلقع
بكت العيون على الذين بربعها ... كانوا بهتان الدموع الهمع
أقسمت ما ناح الحمام مفردا ... إلا لفرط صبابتي وتوجعي
ما زلت أبكي للحمامة كلما ... ناحت على أغصان وادي الأجدع
حتى بليت بفقد من أحببته ... أغدي الفراق فأصبحت تبكي معي

لله در الصادقين صبروا على مسافة العمر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

لا تستصعب طريق الصادقين فما أقربها من دار إذ كان المغيث يغيث والمعين يعين رب مطلب ناله فقير وخاب منه الطالب تعرض لمن أعطاهم فإنه لا يخشى الفقر سل بلسان الذل من أغناهم عسى يجير كسر فقرك فما أجمل حله الانكسار.

حكايــة

كان أويس القرني(١) رضي الله عنه يأتي المزابل إذا جاع يلتمس منها قوته

(١) أويس بن عامر القرني (بفتح القاف والراء): نسبة إلى قرن بن ردمان وهم حي من مراد بن مذحج. =

فأتاها يوماً فنبح عليه كلب فقال يا كلب لا تؤذي من لا يؤذيك آكل مما يليني وتأكل مما يليك فإن دخلت الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير مني ويلاه كم أتحدث ولا سامع وحدي أزمزم ولا واجد لا مساعد يساعد ولا سامع يطاوع يا مقامات السالكين أين السالك يا مسمع الواجدين أين الواجد يا ربوع الصالحين أين الساكن يا أثار الزاهدين أين القاطن.

رفقاً بها يا حادي الأطعان ... تستخبر الدار عن الساكن
ويا غراب البين قد أغويت بي ... دعني قليلاً وحمام البان
ويا عذولي كف عن عذلك لي ... عندي من الأشواق ما كفاني
ويا رسوم الدار ما لي لا أرى ... تلك الغواني بحمى المغاني
أجابني عنها لسان حالها ... يا سائلي لقد جهلت شاني
أما تراني قد خرجت بعدهم ... وصرت مأوى البوم والغربان
وارتحلو عني على رغمهم ... وفرقتهم نوب الزمان

إلّهي ارحم من ليس له من عمله شافع ارفق بمن ليس يمنعه من عذابك مانع ارحم من حسن ظنه في رجائك طامع إلّهي إن طردت العاصي عن بابك فما هو صانع أساري الذنوب يا جميل الصنائع برحمتك يا أرحم الرحمين.

الفصل التاسع

الحمد لله الذي أبرم حبل الفضاء وأوثقه بحبل القدر أحكم أحكام قدرته في اللوح المحفوظ ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾[1] أوحى في كل سماء أمرها بما شاء فيها جميع المخلوقات ودبر فالقلم للكتابة واللوح للمكتوب والأملاك للتصريف بما أراد وقدر ألف بين روحانية الأرواح وكثافة الأجسام بمقدار من الحكمة مقدر نادى العقل أقبل وأدبر فأقبل لامتثال أمره وأدبر واستفهم الأرواح لتفهيم ألست بربكم لسر أخفاه

= أدرك أويس حياة الرسول، وشهد صفين مع علي، وفيها قتل. الإصابة «٤٩٧» (١/١١٨)، وتهذيب التهذيب، وصفة الصفوة(٣/٢٣).

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب (١/٨٦) «سيد التابعين، روى له مسلم من كلامه».

(١) سورة القمر، الآية «٥٣»

عن البشر لم يبال حين قبض القبضتين ثم قال هؤلاء إلى النعيم وهؤلاء إلى سقر لا بعمل تقلب ولا بذنب سبق، بل بما شاء مما لا تطلع عليه الفكر فلا معترض عليه فيها نهى وأمر قرب وأبعد وأشقى وأسعد وبشر وحزر قسم الأرزاق بقسطاط الفضل والآجال بقسطاط العدل فأين من قبضته مفر أحصى الأعمال في ديوان **﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾**[1] بكل ما أسر العبد وجهر يحاسب الخلائق على خفيات الصدور بميزان يرجح بمثقال الذر ثم يرجع العالم الجواز صراط أحر من السيف وأرق من الشعر هذا بعد رجوع أرواحهم إليهم في قبورهم لمسألة منكر ونكير فسبحان من لا يعلم الغيب سواه جل في عظمتهم وتكبر أحمده حمد عبد مذنب نهى فما انتهى وأمر فقصر وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها محو ما تقدم من الذنوب وما تأخر وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزرنا بالوعد والوعيد وحزر وعن ساق الاجتهاد شمر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهر يا نائماً في ليل الغفلة تيقظ فقد لاح فجر الرحيل بالله ما تخلفك عن الركب ما أرى ركائب العزم إلا وقفت أترى نام الحادي أن ضعت أم ضللت عن الطريق بالله عليك تذكر أيام الراحة في منزل سلام عليكم بما صبرتم كم تضيع بزر أنفاسك في سباخ البطالة متى ترده إلى زرع المعاملة لعل أو عسى يثمر عود عسى.

حكايــة

قال ابن السماك[2] الواعظ وصف لي رجل من العباد فوجدته في بيت حفر فيه قبره وهو جالس على شفير يصلح خوصاً بين يديه فسلمت عليه فرد علي السلام

(١) اقتباس من قوله تعالى حاكياً شهادة الكفار على القرآن الكريم: **﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾** سورة الكهف، الآية «٤٩».

(٢) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح بن عجل، المعروف «بابن السماك» سمع هشام بن عروة، والعوام بن حوشب، وسفيان الثوري، وروى عنه الحسين الجعفي وأحمد بن حنبل، وهو كوفي، قدم بغداد زمن هارون الرشيد وكان يبكي هارون من قوة موعظته. ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ تاريخ بغداد ٢٨٩٥. وصفة الصفوة، ١٠٥/٣ ولسان الميزان ٢٠٤/٥.

رداً ضعيفاً ثم قال لي من أنت قلت محمد بن السماك ان الواعظ من المستمع.
بمنزله الطبيب من العليل فأعرض علي شيئاً من وعظك فقلت يا شيخ أن تخشى أن
تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى ثم كم بين يديك من ظلمة وأهوال وكرب
واتكال فأولها ظلمة القبر ثم ظلمة الحشر ثم ظلمة التشكر ثم ظلمة الصراط ثم وزن
الأعمال ثم قطع الآمال ثم سطوة الملك المتعال فبكى بكاء شديد ثم قال لي يا بن
السماك وما بعد ذلك قلت حمل الأوزار والورود على النار وأعظم من ذلك توبيخ
الملك الجبار فصاح الشيخ صيحة عظيمة فسقط في قبره فخرجت عجوز كبيرة
وأقبلت تمسح التراب عن وجه وتقول بأبي وأمي هاتان العينان طال ما سهرت بهما
في طاعة الله تعالى وطال ما بكيت بهما من خشية الله ثم حركاه فإذا هو ميت رحمة
الله فخرجت من المنزل وإذا بسري السقطي وإبراهيم بن أدهم والجنيد وجماعة من
وجوه الصالحين فقالوا لي مات أبو زيد الخواص قلت نعم فدللتهم على منزله فدخلوا
ليخرجوه من قبره ويغسلوه ويكفنوه فوجدوه مغسلاً مكفناً مطيباً فصلى عليه
المسلمون اجمع ثم رجعت مع الجماعة وقد صغرت عندي نفسي.

تعود عبد أسلمته ذنوبه ... إلى قسوة سدت وجوه نجاته
ففر إلى المولى وأسلم نفسه ... وألقى إلى التقوى عنان حياته
ينادي إذا ما الليل أسبل ستره ... وظل غريق الطرف في عبراته
وهاج لهيب الشوق بين ضلوعه ... فبات حريق الجسم من زفراته
عسى الملك المولى يمن بعفوه ... على مذنب قد مات قبل وفاته

يا حبيبي إلى متى تنفق النفس النفيس في التسويق أما تخاف إذا سلكت
سبيل الهوى كثرت المعاثر لو تذكرت ما يلاقي الرسم في الرمس لان جماد قلبك
كم تلفق والمنون يفرق كم تؤلف ومرور الحدثان يصرف كم تصفى والموت يكدر
كم ترفق والحساب يدقق كم تولي والموت يعزل ما ينفع الغريق نداء من على
الساحل.

حكاية

قال بعض العارفين رأيت شيخاً من المتعبدين وقد تغير حاله ونقصت عبادته

فسألته عن قصته فقال زللت زلة فتهاونت بها فعوقبت عليها بالمنع من الطاعة وها أنا في العقوبة إلى الآن.

وما زال بي العصيان حتى تقطعت ... مسالك وصل كان سهلا طريقها
فيا سادتي رفقا بنفس تبادرت ... إليكم فشوقي كل يوم يسوقها
وما رافقت إلا سقامي من ولوعتي ... فارفقوا على نفسي جفاها رفيقها
وإن فطرت دمعاً من الحزن والأسى ... فنحو على نفسي فإني غريقها
وإن لهب الشوق المبرح مهجتي ... ففي كبدي نار كثير حريقها

إخواني

قطر المدامع على الخدود ينبت ما يبقى وقطر الغمام على الأرض ينبت ما يفنى معاشر المذنبين استشفعو بالبكاء فهو شفاء لمن أمسى على شفى لما تم نمام السحر برحيل المجتهدين وتعلقو بأذيال الفجر لله درهم نبات ثباتهم في العلو كالنخل وثبات في الدنو كاللبلاب يا فاتر العزيمة متى يتقرزون يدق توبتك ما أظن قبل غفلتك إلا غلب على سلطان شاه الرفعة طعم النصح في فم المدير علقم إذا لم يصبر يوسف قلبك على سجن التعبد فلا أقل من حزن يعقوب فإن لم يكن فعسى اعتراف إخوته يوم وتصدق علينا ما أطيب أيام الوصال لولا الهجر ما أعذب ساعات الغريب لولا الرحيل.

رعى الله أياما تقضت بلعلع ... وقلبي بالتفريق غير مودع
ولم تخل من أنس الحبائب أربعي ... إذا ما بدا للقلب تذكار مصرع
سقيت عراص الحي من ماء أدمعي

أناشد حادي العيس بالله إذ سرى ... ترفق فقلبي لا يطيق نضيرا
ووجدي لهم يا صاح هيجه السرى ... وجفني مقروح ولم يذق الكرا
وسمعي للعذال يا صاح لا يعي

بكيت رسوم الدار من بعدهم دما ... ورحت وحزني في الفؤاد مخيما
وناديت بين البان والاثل والحمى ... ترى هل تعود الدار تجمعنا كما
عهدت بها الأحباب والأنس مربعي

خلعت عزاري يوم سارت أحبتي وزاد غرامي من ذفيري ولوعتي
وفاضت دموعي من أنيني وحسرتي ورويت ركب الظاعنين بعبرتي
وعدت ونيران الأسى بين أضلعي

يا حبيبي طيب المعاملة ما طاب ما صفى عيشي القوم حتى قلبهم في تقليب الزهو بأكف الكف وسكن قلوبهم بسكينة المسكنة وقطع منهم الآمال بسكين ونادى عليهم في سوق الأشلاء أتصبرون فقال لسان عزمهم بلى فسقاهم من رحيق التوفيق ختامه مسك فغابوا عن النفس وهاموا في فلوات الخلوات ولهم سماع وتواجد عند سماع رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لا يره لله درهم من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

حكايـة

قال سفيان الثوري[1] رحمه الله رأيت في البرية مقعداً يزحف من أقصى بلاد العجم إلى مكة في أربع سنين فوقفت أنظر إليه متعجباً من حاله فقال لي يا سفيان لم تنظر إلي قلت تعجباً من بعد سفرك وضعف مهجتك فقال لي يا سفيان أما بعد سفري فالشوق قربه وأما ضعف مهجتي فمولاي حمله.

خضعت ذليلاً حين عزت مطالبي وآنست ناراً عند تلك المضارب
ولي أرب بالجزع إن لم أقضه سأقضي وما قضيت منه مآربي
إذا وصف العشاق يوماً بسلوه وما وجدوه من لقاء الحبائب
فكل زماني في هواك منعم حميد كفاني فيك أمراً النوائب
وما أرهب الأهوال في غيهب الدجى وأني لجلد عند وقع التوضب
وما ذاك إلا أن عزك نصرتي تقوى بها جاشي وتمضي مضاربي

---

(١) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ونسبته إلى ثور بن عبد مناة بن اد بن طابخة.

«وكان يسمى أمير المؤمنين في الحديث» وقالوا: كتب عن ألف ومائة شيخ. وكان حافظاً فقيهاً محدثاً زاهداً ولد سنة ٩٨ وتوفى سنة ١٦١. تهذيب التهذيب والخلاصة، وتذكرة الحفاظ [١/١٩٠]، وصفة الصفوة [٣/٨٢]، وتاريخ بغداد [٤٧٦٣].

وقــدمــني دون الأنــام اخــتــيــاره فجئت بــه أزهــو أمــام المــواكب
ألاحــظه من جــانب الغــور خيفــة فيلحــظني ســراً فتبــدو عجــائبي
إذا طلبت عينــاي بــهجــة وجــهــه تقــابلني الأفــراح من كــل جــانب

فيا مطروداً عن الباب يا محروماً من لقاء الأحباب إذا أردت أن تعرف قدرك عند الملك فانظر فيما يستخدمك وبأي الأعمال يشغلك كم عند باب الملك من واقف بقصه لكن لا يدخل إلا من عنى به لا يوقع إلا الذي فاقه ما كل قلب يصلح للقرب ولا كل صدر يحمل الحب ما كل نسيم يشبه نسيم السحر ما كل معروف معروف ما كل جنيد جنيد ولا كل سري سري لله درهم من رجال حشيت قلوبهم بالمحبة فجرت عيون العيون على جداول الخدود فتمايلوا طرباً.

أحبه قلبي قد وصفت لكم وجدي ولا حلت عن عهدي القديم ولا ود
أواصــل أحيــانــاً فــأقنــع بــالمنى وأجفى فــأرضى بالقــطيعة والصــد
يحــرمــه أقــوام يقــومــون ليلهم ويبكون خوفاً من أذى البين والبعد
إذا قــرىء القــرآن فيهم تمــايلوا كما تميــل ريح الصبا أغصن الرند
هبوا إلي حياتي واحفظوا إلي مودتي فحشى نــداكم أن يقــابــل بــالــرد

إخوانــي

كأني قد استنشقت من جانب القلوب نسيم آسف ولاحظت لحظة من أنفاس النفوس إلٓهي من عقد نطاق القدوم على التوبة فلا تحل عقد إلٓهي من عاهدك في الرجوع إليك فجددنا بالقبول عهده إلٓهي ما في الجماعة إلا من هزته رياح الموعظة إلا الضعيف فإنه ينظر إلى أحوال التائبين فيفرح إلٓهي يجدون برد عفوك ولا أجد إلٓهي إن لم أكن أهلاً للمتاب فشفع في التائبين وارحمنا بمن قبلته منا يا أرحم الراحمين.

الفصل العاشر

الحمد لله الذي أيد لكشف الحقائق قلوباً بالصفا فتجوهرت كرم ما أجسام العارفين بإخلاص المعاملة فأنهار عقولهم بالمعرفة تفجرت خلع عليهم خلع الرضا

فرياض أنسهم نبشر طبيب الحبيب تعطرت حنوا إلى محبوبهم فعيون عيونهم من أليم الأشواق إليه تقرحت ساق أرواحهم إليه بحادي المحبة ونيران الشوق في أكبادهم تسعرت سقى سر أسرارهم بماء الإخلاص فروضاتها بالمعاني أزهرت كمل بصائرهم بنور التوحيد فهي بشعاع نوره تنورت حدى بنفوسهم حادي الشوق إليه فهيمها طول السرى فتاهت وتحيرت ثم هداها إلى طريق العناية إليه فما ونت ولا قصرت أقلقها تذكارا لعهدي من يوم الست فأنابت وأجابت وتذكرت فكم من دموع أجراها خوف الوعيد ففاضت سحائب عبراتها وانهمرت فالعارفون ركبوا خيول النحول فأكبادهم من شدة الأشواق تفطرت أجلسهم على كراسي كرامته وعمر صدورهم بذكره فتعمرت خلعت عليهم خلع الرضا فأقدام أقدامهم على باب الحبيب تسطرت تروحت أرواحهم وترونقت أجسامهم وتجوهرت عقولهم وطهرت قلوبهم من الأكدار فتطهرت لله أنين المحبين ووجد المشتاقين فطال ما بكت سماء عيونهم في طلب الوصال وسهرت فسبحان من حكم بالسعادة والشقاء وبمقادير من الأقدار وتقدرت أحمده حمد من يرجوه عند الممات إذا الأمور حالت وتغيرت وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة استعدها اليوم الحساب إذا النيران تسعرت وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنوار شريعته على سائر الشرائع ظهرت صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة ادخرها ليوم تعلم فيه كل نفس ما قدمت وأخرت ومعاشر التائبين اجمعوا أشتات قلوبكم بالعزلة غمضوا بأذى الهوى عن الطيران فإذا ارتاص فاطلقوه في فضاء الاعتبار يقتض لكم طيور المعاني.

إخوانـي

عزلة الجاهل عزلة وعزلة العالم عزلة نفس الجاهل في السلوك تحتاج إلى دليل والأتلف ونفس العالم في السلوك معها حذائها وشقاؤها إذا استحكم عقد الصدق انحل عزم الهوى.

حكايـة

كانت أم دأب من كبار المتعبدات وبلغ عمرها تسعين سنة وهي تحج كل سنة على قدميها من المدينة إلى مكة فكف بصرها وحضر وقت الحج فدخل النساء

عليها يزرنها ويعزنها في بصرها وحضر وقت الحج فدخل النساء فبكت وقالت وعزتك يا مولاي لئن فقدت نور بصري بين يديك لما فقدت أنوار شوقي إليك ثم أحرمت وقالت لبيك اللهم لبيك ثم قالت لأصحابها أقسمت عليكن أن لا يعودني أحد منكن فكانت تمشي بين أيدهن وربما تسقهن قال رجل من أصحابها تعجبت من حالها فهتف بي هاتف وهو يقول يا هذا أتعجب من ضعيفة اشتاقت إلى بيت مولاها فحملها إليه وهداها بصحة قصدها إليه.

نعم قدحوا الغرام بلا زناد	فصار الشوق في شغف الفؤاد
إذا لم تطفؤا نيران شوقي	بوصل صار قلبي كالرماد
عذولي لا تضع في العذل وقتي	فلست بقاطع حبل الوداد
ويا حادي النياق لأرض نجد	إذا ما جزت في تلك البوادي
فقل للحب بالجرعاء عني	مقاله مغرم الأحشاء صادي
أيا راحي وريحاني وروحي	أتسهدني وتليني رقادي
ظلام الليل أحسن من ضياء	إذا نظر المحب بلا انتقاد
فيسقيه السلافة من غرام	معتقه كنار ذي اتقاد
وسار العارفون إلى أرضاه	فنوقهم إليكا والشوق حادي
وقد جعلوا الحنين لهم حداه	وذكرهم الأحبة خير زاد
فتسمع صوتهم والعيس تسرى	وترجع بالحدا طربا تنادي

واعجباه ما الذي أنزل همة نفس أنفاسها نفيسة من يوم اسجدوا حتى زاحمتها كلاب الشهوات في جيفه الدنيا على مزابل الشر وحجارة الذل تقع على الأنوق ولا أتفه ويحك ضيعت ماء أنفاسك في سباخ الغفلة فمتى ترده إلى زرع المعاملة لعله يثمر عود عيسى.

حكاية

قال ابن السماك وصف لي رجل من كبار العباد في بعض جبال الشام فرحت إلى زيارته فقال لي يا ابن السماك ما الذي أوراك هذا المكان فقلت سمعت بأمرك فأحببت زيارتك فقال لي غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسي من غيري اجتهد في طلب النجاة قبل الهلاك فلما سمعت كلامه بكيت فلما عزمت على الرجوع قلت له

هل لك من حاجة تشرفني بها فقال من جلس في هذا المكان لم يبق له حاجة في مكان عند أحد ثم قال لي هل لك أنت من حاجة قلت له حاجتي سألتك بالله أخبرني ما تحب من الدنيا والآخرة فبكى وقال لا والله أحب ما أحب شيئاً ولكن والله لولا أنك أقسمت علي ما أخبرتك أما الذي أحبه من الدنيا فقوة على العمل بالطاعة ونفس بعيدة عن الهوى وقلب حشوه الخوف والوجل وأما الذي أحبه من أمر إلا الآخرة فسماعي من سيدي اذهب فقد غفرت لك ثم سقط إلى الأرض ميتاً فهبت من حاله وحرت من أمره وأردت أن أغسله وأكفنه ببعض ثيابي فسمعت هاتفاً من خلفي يقول هون عليك فليس أمره إليك ثم سارعني فلم أره وسمعت صب الماء عليه وقائلاً يقول له بصوت مزعج هنيئاً لك يا ولي الله الآمن من عذاب الله ومن الخوف يوم النشور.

لما رأيت حاضراً	في القلب زادني الخمار
فبقيت فيك محيراً	والقلب ليس له قرار
يا صاح هات الراح صافية	فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكليم	فلاح نحو الطور نار
لطفت فلما زاقها الأحباب	نحو الحب طاروا
بذلوا إليه نفوسهم	وعلى خيول العزم غاروا
وإليه في بحر الهوى ركبوا	وبالأرواح صاروا
هاموا به حتى لقد	آنست بقربهم الديار

إخواني

عرف عرفان المحب يعرف بما جن عليه جنانه واعجباه كم يحمل بدن المحب على ضعفه واعجباه كم يحمل قلب العاشق على لطفه واشوقاه كم يحمل سرا له على لهفه ما أقوى القلب على حمل حمل الهوى ما اصبر قلب المحب على نار الشوق وهو لا يتغير كأنه قد لبس ريش السمندل وإن كان لا بد من تنفس نفس من كبد محرقة فلولا مداركه حريق الشوق بسواقي الدموع لتلف المحب.

حكايــة

قال بعضهم رأيت في تيه بني إسرائيل رجلًا وهو يتمايل ضعفاً ونحولاً فسألته

عن حاله فقال أنا رجل عليل فقلت وما يصنع العليل في البرية فقال يريد شربة من عند الطبيب لعله يكون فيه شفاؤه ثم قال لي من أنت؟ فقلت: أنا رجل غريب فقال يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء فبكيت من كلامه فقال لي ما أبكاك قلت وقع الدواء على الداء الذي أقرح فأسرع في نجاحه ثم قال لي يا هذا أني فكرت في قصتي وتأملت في حالي فما وجدت لي مؤنساً غير غربتي ثم قال حسبك ما سمعت ثم وكز الأرض برجله وطار في الهواء.

وعدتم أن تحسنوا في الفعل	فقطعكم قطعي ووصلكم وصلي
أنعمتم من قبل أن أسألكم	ما نال هذا عاشق من قبلي
أسرتم سري بإحسانكم	كما غفلتم بالنعيم عقلي
للناس أشغال بها تشاغلوا	وانتم دون دون الأنام شغلي
من كل يوم أنا مقتول الهوى	وها حبيب من دمي في حل
كانت ولايات الشباب عشرة	فذقت طعم الذل يوم العزل

إلّهي جد على فقر ذنوبنا بسعة عفوك إلّهي ارحم ضعف عزائمنا بقوة رحمتك دارك ملسوع الذنوب بترياق توبتك لا تحرمنا شفاعة من قبلته منافينا وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

الفصل الحادي عشر

الحمد لله الذي تنزه في كماله عن التشبيه والتمثيل والمثال وتوحد في وحدانيته عن المؤآنس والموآزر والمشير وتغير الحال وتعاظم في قدمه عن الصاحب والصاحبة فلا يدرك بالعقول ولا ينال وتكبر في كبريائه عن الوالد والولد والأعوان والأنصار تنزه عن ابتداء الأفعال وتقدس في قدس طهارته عن الحدود والتغيير والرسوم والتحرك والانتقال وتطهر في كماله عن التفكر والتذكر عن النسيان في الماضي والمستقبل والحال وتعالى في ديمومية دوامه عن التحديد بالفوق والتحت والأمام والوراء واليمين والشمال وتفرد في أزليته عن تعداد الجزء والكل والبعض والجوهر والعرض والتخيل والخيال وتسرمد في سرمدية بقائه عن توالي الدهور والأيام والليال وتعزز في عز قهره عن معاني التكوين والتمكين عن زيادة الكمال والاستكمال وامتنع في كمال وجوده عن الكيف والكم والأين والمقايسة وكل هذا في

حق القديم محال لا يسأل عن افتتاح وجوده بمتى ولا عف استوائه بكيف فتعالى الله الملك المتعال لا يستدرك في أفعاله نقص فيقال لو ولا يكشف ستر قدرته أحد فيقول لم جلت عظمة القدير ذي الجلال حتى قدير عالم مريد سميع بصير متكلم قديم أزلي أبدي سرمدي لا يوصف بالقطع والاتصال فسبحان من احتجب في سرادقات عظمته وأعجز الخلائق عن إدراك حقيقة ذاته وحيرهم بالقيل والقال أحمده حمد من وقف على ساحل بحر التوحيد فشاهد ما فيه من الأخطار والأهوال وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة ادخرها الهول السؤال وأشهد أن محمد عبده ورسوله الذي بصرنا من العماية وهدانا من الضلال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أرجو بها الشفاعة إذا انقطعت الآمال.

إخوانـــي

كم عقدت الدنيا لمحبيها عقد عهد فعند أمنه بها غدرت ما أمسى أحد فيها على رفع أمل إلا أصبح في خفض أجل أصدق مواعيدها مواعيد عرقوب حريص عليها خرسه الموت فأسلبه حياته وماله وما بلغ آماله يا من أقعدته العوائق لو شممت نسيم خزام العقيق لهان عليك طي السرى.

أما ترى يا فتى في سرحة الوادي ... مباده بالسرى يحدو بها الحادي
لهـا أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
إذا عييت من كلال السير اذكرها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد
قل للمتيمين بالجرعاء أن لهم ... بالرقمتين أسيرا ما له فادي
أيدي العوازل تطويه وتنشره ... شبه المريض طريحا بين عواد

يا من يستضيق به سجن الفقر لو علمت أنه أوسع من قفر كنت شكرت وما شكوت ما صح ليوسف الصديق سعة قول أنك ليوم لدينا مكين أمين إلا بعد ضيق فلبث في السجن بضع سنين.

حكايـة

دخل رجل من جياد القراءة إلى مكة وكان حسن الصوت طيب القراءة فأخبر به علي بن الفضيل فأحضر إليه وقال له بلغني أنك طيب القراءة فاقرأ علي شيئاً من

القرآن فقال له القارىء أني أخاف ربما أن استغرقت عند سماع القرآن مني وأنا أخاف أن يفجع فيك أبوك وهو من الأبدال فقال له أقسمت عليك بالله إلى ما أجبت سؤالي فتعوذ وقرأ:

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾.

فما أتم الآية حتى سقط على وجهه فانتظر الناس على قيامه فلم يقم فحركوه فوجدوه ميتاً فتسامع الناس بموته وارتفعت الأصوات وصعد الناس على الحيطان ووصل الخبر إلى أبيه فقام يمشي على سكون الناس حوله حتى بلغ إليه فقال رحمك الله يا علي لقد كنت أخاف عليك من الموت عند سماعك كتاب الله عز وجل سبقتنا ونحن بك لاحقون ثم نظر إلى الناس وازدحامهم عليه فقال ليس العجب من موت علي من مخافه النار إنما العجب ممن الخوف من النار فلم يخف لله در نفوس العارفين أذابها الشوق من خوف الحبيب فإذا به عنده مارح نسيم الشوق أنفاسهم فاشتاقوا للقاء الحبيب.

استخبر الشمس عنكم كلما طلعت ... واسأل البرق عنكم كلما لمعا
أبيت والشوق يطويني وينشرني ... في راحتيه ولا أشكو له وجعا
أحبابنا أن يكن طال المدى فمدى ... فراقكم قطعتني بعدكم قطعا
لسعت من حبكم وجداً فلا عجب ... فلست أول من حبكم لسعا
لو من دهري على طرفي برؤيتكم ... لكان أحسن إذ ما بيننا جمعا
لا تحسبوا أنني بالغير مشتغل ... إن الفؤاد لحب الغير ما وسعا
رقوا الصب معنى في الهوى دنف ... من هجركم قطعت أحشاؤه قطعا
فلا رعى الله واش رام فرقتنا ... ولا سعت رجل ساع بالفراق سعى

واعجباه أترى من أخاطب من هو حاضر أم من هو غائب كم إلى كم أعاتب من لا يكن إلى الحبائب يا أخي بالله عليك احضر قلبك للطاعة ولو ساعة يا من حمد قلبه على الهوى جمود الجماد طبعك للمعاصي متحرك وللطاعة ساكن ويحك أما لك أن تنظر به لماذا خلقت ما أطوال نوم غفلتك فمن أحدث ويحك أين ذل الاعتراف؟

حكايــة

قال بعضهم مررت بسوق فوجدت دلالاً ينادي على عبد بالبراءة من كل عيب فيه فدنوت من الغلام وقلت ما هذا العيب الذي فيك فقال يا سيدي عيوبي كثيرة ولا أدري أي عيب شهرني به فقلت للدلال ما العيب الذي يظهر على العبد فقال به داء الجنون فقلت للغلام كيف يأتيك الصراع في كل جمعة أو في كل شهر فقال يا سيدي استوى داء المحبة على القلب فسرى في الأعضاء واستوى على الجوارح فنشر خمار المحبة فطاش العقل بذكر الحبيب فأحدث على البدن استغراقاً وسكوناً فاعتقده الجاهل جنوناً قال الرجل فعلمت أن الغلام من أولياء الله تعالى فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام قال لي مائتا درهم قلت لك عشرون درهماً فنقدته الثمن وأخذت الغلام ومضيت به إلى المنزل وأمرته بالدخول فأبى وقال يا سيدي لك أهل قلت نعم قال ومن يستطيع أن ينظر إلى غير ذي محرم قلت قد أبحث لك ذلك قال معاذ الله ما كان لك من حاجة قضيتها وأنا دون الباب فسكت عنه وتركته ودخلت الدار فأخرجت له طعاماً قال أني صائم فلما كان الليل أخرجت إليه العشاء قال أني طاو فأقام عندي في دهليز الدار وكنت أنقيه بماء الوضوء فخرجت ليله نصف الليل فوجدته قائماً يصلي ولم يشعر بي وهو يبكي ويقول إلّهي قد غلق الملوك أبوابهم وبابك مفتوح إلّهي غارت النجوم ونامت العيون وسكنت الظنون وقد خلا كل حبيب بحبيبه إلّهي جد بحلمك على من لا يرجو سواك إلّهي إن طردتني عن بابك فإلى باب مـن ألتجي ثم سجد طويلاً وقال إليك أخلص العارفون وبفضلك اهتدى على المهتدون يا جميل العفو أذقني بدر عفوك وحلاوة مغفرتك فلم يزل هذا فعله حتى صلى الصبح فلما أصبحت خرجت إليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال يا سيدي أوينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار إن ذكر النار منعني من النوم ثم بكى طويلاً فقلت له اذهب فأنت حر لوجه الله فبكى وقال يا سيدي كان لي أجران أجر العبودية وأجر الخدمة فذهب عني أحدهما فدفعت إليه نفقة فأبى أخذها وقال أن المتكفل بالأرزاق حي فأقسمت عليه فلم يقبل منها شيئاً ثم خرج هائماً على وجهه يا متبهرج الباطن كيف بك عند النقاد أين التواجد عند السماع أين تلهف الانقطاع .

بان اصطباري فبان الصبر إذ جذبا   وأودعوا في الحشى وجداله شان
أقول حين بدا للقلب سلوته   للقلب لفحات الوجد نيران
عجبت من وقدها والدمع طوقان

ما كان فرقتهم يا صاح في خلدي   والنار تضرم في قلبي وكبدي
ما ذاق ما ذقته في البين من أحد   يا ساعة البين ما أبقيت من جلدي
وقد هجرت من أهواهم خانوا

صب يهيم بكم مضى رهين هوى   والبعد والبين ما اتقى لديه قوى
قتيل يوم النوى لا كان يوم نوى   ما ودعوه ولكن أودعوه جوى
يمسي ويصبح فيه وهو ولهان

ما ترحموا من له شغل بذكركم   متيم قلق في أسر حبكم
قد تشرد النوم عن أجفانه بكم   تهزأ أعطافه الأشواق نحوكم
كأنه من سلاف الخمر سكران

واحسرتاه كم جازت على الجادة من رفاق تتجافى جنوبهم عن المضاجع وما أنت فيهم كم مدلج في ركب كانوا قليلاً من الليل أيهجعون وما أنت معهم كم دخلت للعزيز من قصص للمستغفرين وما لك معهد قصة يا نائماً من ليل الغفلة رحل الركب وقطعت سرت الرفاق وما انتبهت.

حكاية

قال بعضهم كنت أسير في بعض جبال الشام وإذا أنا بصوت ضعيف وهو يقول هل من موقف صدق للبث والشكوى فقد جلت المحن وعظمت البلوى قال فتبعت الصوت حتى وصلت إليه وإذا بفتى جالس في محراب يبكي فلما فرغ من بكائه سلمت عليه وقلت له يا حبيبي ما الذي أبكاك وأنت على هذه الحالة فقال وكيف لا أبكي وقد طردني من بين يديه ومنعني لذة الشكوى إليه فقلت يا حبيبي أحب أن أسألك عن شيء فهل تأذن لي في ذلك فقال يا عم سل ولا تطل فلي هموم وأشغال بين يدي مواقف وأهوال والليل والنهار حثيثان في طلب الآجال فقلت

له بم استوجب أولياء الله قربهم من الله فسقط مغشياً عليه ثم أفاق فقال يرفضهم ما دون الله وأخذهم البلغة من الدنيا عند الضرورة لإقامة الغرض وتترك الفضول من الكلام والعزلة عن الناس ثم مضى وتركني واعجباه قيدك النوم عن القوم وما نبهتك أبواق الرحيل قد رحل الركب وطاب ترنم الحادي.

هو البين صعب في القلوب وقوعه ... فلا سر إلا والدموع تذيعه
ولا صب من عصاه اصطباره ... غداه استقلوا إذا طاعت دموعه
فلا الماء إلا ما استهلك جفونه ... ولا النار إلا ما تكن ضلوعه
لقد أودعوا إذ ودعوا النار في الحشى ... وقد فرقوا بعد الفراق جموعه
يرجع من فرط الغرام تأسفا ... على زمن قد عزّ منه رجوعه
ويلزم عند الحزن خزنا المنزل ... خراب خلت أطلاله وربوعه
فنى دمعه في دمنه الدار إذ بكى ... وأسعده بعد البكاء نجيعه
خليلي عوجا بالمطى إلى الذي ... يعم الورى أنعامه وصنيعه

إخوانـي

شهد كلامي لا يذوقه إلا من له ذوق لطيف ألفاظي لا تهز إلا صاحب وجد مجلسي هذا حله وطرازها الموعظة ويد العناية تخلع على التائب ونسيم الشوق يهب على القلوب الصافية ينشر عطر ألطف من النسيم في الرياض إلَهي كل كلام لا يوافقه التوفيق نبات لا يتفتح به إلَهي أهل مجلسي هذا نقلوا أقدامهم للأقدام إلى بابك ما منهم إلا من له قصة وقد رفعوها إليك وقد تبرقعوا ببرقع الخجل إما حياء منك وإما احتقاراً لأنفسهم أو خوفاً لما سلف من ذنوبهم إلَهي ابعث رسول عفوك ومره بأخذ القصص من أيديهم إلَهي كل قصة مكتوب فيها: **﴿مسنا وأهلنا الضر﴾**[1] وختامها **﴿لئن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**[2].

إلَهي وقع على قصتنا ساعة **﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾**[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية «٨٨».

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الأعراف ١٤٩).

(٣) سورة يوسف، الآية «٩٢».

إلهي اغفر لنا ذنوبنا ولا تردنا عن بابك خائبين يا أرحم الراحمين.

الفصل الثاني عشر

الحمد لله الذي فتح للمخلصين من عباده أبواب اللطائف والوسائل وغمر بالعطايا جميع خلقه من غير أن يسأله منهم سائل ينادي في الأسحار يا عبادي هل من داع هل من مستغفر هل من سائل جعل أشكال المحدثات دالة على توحيده وتمجيده بأتم المعاني فأكمل الدلائل جعل الدنيا منزلاً وجعل السنين فيها منازل والأيام مراحل وجعلها حرناً وفر حافز هو زهرتها آفل وظل ظليلها زائل فأفراجها شوبة بالأحزان وصحتها مقرونة بالأسقام ومده أيام البقاء فيها قلائل حلالها حساب وحرامها عقاب ومجازاة الأعمال تارة في العاجل وتارة في الآجل فنورها مقرون بالظلام وحلاوة شهواتها بالآثام ورونق رونقها زور وباطل حسن جمالها مستعاد وصفاء عيشها منغص بالأكدار فلا يظفر خاطبها منها بطائل مآل وصلها إلى الفراق وبدر كمالها إلى المحاق وكوكب زهوتها آمل عرفها العارفون ففضوا عنها أبصار البصائر وعلموا أن خفها باطل هجروا فيها الأوطان والأوطار والأهلين والديار وقطعوا العشائر والقبائل تركوا فيها وصله الأسباب وهجروا الإخوان الأحباب واعتدوا للموت العاجل اليقظان فيها نائم والنائم عنها يقظان فلا يعلق أمله بحبها عاقل سمينها مهزول والماد يده إليها مغلول وسم شهواتها قاتل فسبحان من امتحن الخلائق بزهوتها فما سلم المقيم منهم ولا الراحل أحمده حمد من يرجوه رحمته في العاجل ويدخر مغفرته في الآجل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي هو ملجأ لكل خائف ومأمول كل آمل وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف برسالته الرسائل وجعل اسمه في الأدعية وسيلة لكل سائل صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة ادخرها ليوم مخوف هائل يا منعكفاً على شهوات النفس أخطأت الطريق يا معوقاً نصل سهم عزمه في طلب الدنيا ما أصبت الغرض يا فاتر العزم تفكر في سبيل نصب فيه آدم فتصب وناح فيه نوح وما استراح وعرض ياقوت الخليل على النار للاختبار وأفقد يعقوب بصره بالبكاء في الأسحار وابتلى بالرق والعبودية يوسف ونشر بالمنشار زكريا وابتلى بالبلاء أيوب وبكى داود حتى نبت العشب من دموعه وتكدر عيش سليمان في ملكه ورعى الغنم موسى من أجله وهام في البراري

عيسى ابن مريم وعالج الفقر محمد ﷺ وتريدها أنت بالتمني هيهات هيهات وقد يتبرأ بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلايمه.

حكاية

مر عيسى عليه السلام بقرية باد أهلها ونسر قائم على أفنيتها فقال له عيسى عليه السلام: كم لك في هذه القرية؟ قال: خمسمائة سنة، فقال: هل أدركت من أهلها أحد؟ قال: لا، فنادى عيسى عليه السلام: يا أرض اين اين أهلك؟ فأمر الله تعالى أن تجيبه، فقالت: يا روح الله رفضتهم عن منازلهم آجالهم وغرتهم في طلب الدنيا آمالهم وخذلهم عن الموت مالهم وأحاطت بهم أعمالهم فصارت ذنوبهم قلائد في الأعناق وعرضت أرواحهم بين يدي الملك الخلاق فمهجهم فانية وعظامهم بالية، فهل ترى لهم من بقية؟ ثم بعد هذا يحاسبون على ما أسلفوا في الأيام الخالية ثم تخطفهم الزبانية فلبا إلى جنة عالية وإما إلى نار حامية، فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديداً وبكى أصحابه وقال لهم هذه عاقبة الدنيا فالويل لمن آثرها على خدمة المولى:

احذر دنياك وغرتها	واحذر أن تبدي طلبا
تبغي الراحة من قتلت	هلكت قدما أما وأبا
وعلى الجيران فقد جارت	في فرقتهم سكنوا الترابا
وعاد وثمود مع ارم	كلا قهرت وجنت عطبا
أضحى في اللحد ورمته	بتراب اللحد قد احتجبا
اطلب مولاك ودع دنياك	ففي أخراك ترى عجبا
أين الماضون لقد سكنوا	رمسا بشعا تربا خربا
فالشيب أضا والعمر مضا	والموت لاجت قد قربا
فأعد الزاد إلى سفر	عمر الأيام قد انتهبا
بادر بالتوب وكن فطنا	لا تلق بحفرتك النصبا
فلعل الله برحمته	يفتح بالعفو لنا سببا

إخواني

لا يدخل لحضرة الملك إلا من عنى به أليس كل قلب يتقلب في تقلبه فهذا

يتقلب لحينه وهذا يتقلب لحينه كم جذبت الإرادة في القدم من قدم بعد الزلل فألحق جذب الحق المقيم بالراحل كان عمر ملهوفاً بهبل فسمع منادي الإرادة في سوق الشوق ينادي ففروا إلى الله فانتبه نائم السعادة من رقدة الغفلة وقال من يعقد البيع ويقبض الثمن فقيل له العاقد قاعد في دار الخيزران ينتظر قدوم أقدامك بأقدام تقدم في القدم وكانت سلسلة الإرادة تحركت بقوله:

«اللهم أيد هذا الدين بأحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام» فسبق على لسان الحبيب ذكر عمر فقامر فقمر ثم دخل الدار رضي الله عنه وهو لابس لامة حربه فلما وقع نظر الحبيب على المحبوب فاضت محبة الفتوة إلى علم النبوة فجذبه جذبة الشفيق الشفوق فلاح له طريق التوفيق فكبا إلى الأرض وما نبا ثم وثب وصاح واطربا ثم قال أواه لقد دبت المحبة في جسدي ولقد وجدت بردها في كبدي فسمع الآذان في البئر عند ميل الفي فأقسم لا يعبد الله سرا بعدها وعمر حي يا ابن عياض كيف تقطع السبل وقد وقع على قصتك ما على المحسنين في سبيل ما ضر ما سرك إذا سبقت لك سابقة إن الذين سبقت لهم مني الحسنى.

إخواني

اطار حكم حديث الفردوس وانتهى في دهليز الغفلة كم أنشدكم بسيط أخبار القوم ولا متحرك القلب المشوق لا يزال مع الركب وان لم يسافر ما أسرع الوجدان تواجد.

رحلتم وقلبي عندكم وفؤادي ... فبان اصطباري واستقل سهاديا
غريق دموع في حريق صبابة ... أنادم وجدي فيكم وأناديا
أسأل عنكم والسؤال تعلل ... فكيف وقد أذنتم ببعاديا
منازلكم قد أقفرت بعد بعدكم ... فمذنبتم عنها سلبت رقاديا
كأن ليس فيها ناظر مذ رحلتم ... فأنتم جمال والأنام حماديا
سلام على تلك الخيام فلا خلت ... معاهدها تسقي بصوب عهاديا

يا بلال من أنت حتى عرج بك على براق العناية إلى حضرة قرب القرب وتخلف أبو طالب عن نيل المطالب يا ابن أدهم من أنت حتى تعطرت مجالس

الذكر بحديثك يا رابعه من أنت حتى لينت المنادي وحللت من القرب في النادي يا سلمان على أي فرس جئت من فارس حتى نظمتك يد العناية في سلك العناية من أهل البيت.

حكايــة

ذكر أنَّ بعض العباد أقام أربعين سنة في كهف السودان بقرافه مصر فهو يوماً جالس وإذا بفتى قد أقبل ومعه طعام وشراب فاعتزل منفرداً وأكل ثم أخذ القدح ليشرب فأخذ العابد يقرأ **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾**. فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فعـاد وأخذ القدح ليشرب فردد العابد الآية فرماه من يده وقال بلى والله قد آن أن هذا العجيب ثم نزل من موضعه وهو يقول بلى والله آن والله وخرج على وجه وهو يبكي قال العابد فقمت خلفه فما لحقته فقلت أن أمامه بركة الحبش فيقف عندها فلما وصل إليها وضع رجله على الماء ومشى وهو ملتفت إلي وهو يقول والله آن والله آن فوضعت رجلي فغرقت فقلت إلّهي ما حالي ولي على بمـاد يقول يختص برحمته من يشاء. فغلبني البكاء فرجعت إلى الكهف وأنا على حاله الانكسار.

إخواني

إذا وليت سلطنة القدر ولاية الولاية عقدت لها ألوية العناية فما حيلة المحروم إذا هب نسيم التوفيق في سحر العناية تحركت أغصان قلوب المستغفرين واهتزت أفتان الألسنة بصنوف الدعوات.

هـب نـسـيـم طـيـب رائـق	فـارتـاح من لـذتـه العـاشـق
يـلاطـف الـروض ولـكـنـه	يغـدو لـه خلف الأسى صـاعق
قـد صـرت من سـراه أحـدوثـه	كـأنـه عـن عـرض نـاطـق
مـا لـفـؤادي يـجـتـره الـجـوى	ومـا لـقلبي لـم يـزل خـافـق
وواحـر قـلـبـاه إلـى منهـل	يـعـوقـني عـن ورده الـعـائق
اشربوا من كـاسات خمـر الهوى	مـزاجـهـا من دمـعـي الـدافـق
نحول جسـمي بـعـدهم شاهـد	دل عـلى أنـي لـهـم عـاشـق

إلهي فك أسرنا من قيد الذنوب وارحم تضرعنا إليك يا كاشف ضر أيوب واجذب بيد عنايتك أزمة نفوسنا إليك ولا تطردنا عن بابك ولا تقطع علقه أيدي آمالنا بذيل عفوك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث عشر

الحمد لله الذي أسعد بالقرب منه رجالاً صدقوا الله في الهواجس وخفيات السرائر فولاهم في الميثاق أوفر نصيب فانقطعت عنهم وساوس الخواطر أوقد في مشكاة قلوبهم شرائح المعرفة فحندس أفكارهم مشرق بالحقائق زاهر على عقولهم سورة التوحيد في مكتب الست فكتبوها في ألواح حفظ البواطن والظواهر وخلع عليهم حله حلاوة المناجاة فروض إخلاصهم بالقبول عاطر ملأ فساقى صدورهم من سواقي الحكمة ونضد حافاتها من الجواهر بالأزاهر غنى معبد تعبدهم بعود ذكر العود فتواجد بذكر الغائب الحاضر أدار عليهم حميا الحماية ببيان التبيان فصافحوا دنان الدنو في البواكر مد عليهم دليل الخلوة أطناب الظلام فهم يتشاكون الشوق في الدياجي والهواجر فعند كشف الغطا يشاهدون مولاهم وليس بينه وبينهم حجاب ساتر هذا حال أهل السعادة وأما الشقي فما لشوقه آخر فلله طيب أوقات العارفين ساعدهم التوفيق فرهت بذكرهم المجالس والمنابر طرز بذكرهم الآفاق والأوراق بما على فضائلهم المحابر والدفاتر فسبحان من وفقهم لخدمته وعصمهم من الزلات والكبائر وأبعد الأشقياء بمعصيتهم فكل منهم في تيه الغفلة حائر أحمده حمد معترف بفضله شاكر ولأنعمه ذاكر وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم الممات وهول المقابر وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي سطى بسيفه على كل ملحد وكافر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما صفقت أكف الأوراق وغرد على الأغصان طائر.

إخواني

الليل مطايا المجتهدين وتـلاوة حاديهم في السحر تظهر أعلام المنزل وفي الفجر تحط بضائع الأعمال فإذا قام سوق فلا تحلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين. هنا لك بعض النائم على أنامل الندم.

حكاية

قال بعض العارفين رأيت بنانا الحمال بعد موته في النوم فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت بماذا قال بصبري على خدمته وحيائي من عزته قلت له فأين مسكنك قال في جنة الفردوس فقلت: فبم نلت ذلك قال: بمسارعتي إلى طاعته وتركي لمعصيته قلت فبم استوجب أولياء الله مخافة الله فقرأ من يهد الله فهو المهتد. قلت فبأي الطريق تكون النجاة فقال امسك عليك لسانك واتق الله حيث كنت تجده أمامك ثم قال حسبك ما وعيت لله در هؤلاء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. أقدام تعبدهم على أرض العبادة أثبت من الرواسي وأقدام المتخلفين على شفا ما زالت حداه أشواقهم تخدوا برواحل قلوبهم حتى بلغوا المنزل في مقعد صدق.

نغم الحداة بكم وزجر السائق	أو هي قوى جلد المحب الوامق
عجل الفراق على فيك فلم أنل	وصلا سوى نظر كلمحه بارق
أواه ما أبقى الهوى مني سوى	كيف يشد على فؤاد خافق
ها قد كتمت هواك معنا أنه	نار تنشب على فؤاد شائق
هبني قدرت على لسان صامت	ما حيلتي في دمع عين دافق
أنا من فراقك بين حزن ثابت	لا يستحيل وبين صبر آبق

إخوانـي

من تاه في ظلمة ظلمه تلف طالب الشهوات باحث عن حتفه .....[1] يا قاتلاً نفسه بالمعاصي بئس ما اخترت لنفسك كم وعظك نذير الشيب فما قبلت ولا أقبلت إذا كان العمر في أدبار الموت في إقبال فما أسرع الملتقى.

حكايـة

قال صالح المري كانت جارية تغني فمرت ذات يوم بقارىء يقرأ وأن جهنم لموعدهم أجمعين قال فصرخت ووقعت مغشية عليها فلما أفاقت كسرت آلة غنائها ثم أخذت في العبادة والاجتهاد حتى شاع ذكرها فدخلت يوما عليها وكلمتها في

(١) كلمة غير واضحة.

الرفق بنفسها فبكت وقالت ليت شعري أهل القبور كيف يخرجون وعلى الصرات الرقيق كيف يعبرون ومن أهوال يوم القيامة كيف يخلصون والحميم والزقوم كيف يتجرعون ولتوبيخ الموتى كيف يسمعون ثم سقطت مغشية عليها فلما أفاقت قالت مولاي وسيدي عصيتك غضة رطبة واطعتك وأنا يابسة عشية أتراك تحرق الخشبة بالنار ثم قالت أواه كم من فضيحة تكشفها القيامة غداً ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد في مجلسها حتى غشي عليه من شدة البكاء ما صنعت بنفسها.

أما والذي قد قدر البعد بيننا ... وعذبني بالشوق وهو شديد
وخصكم بالصبر دوني وخصني ... بحزن عليكم يبتدي ويعيد
وصيرني مهما شممت نسيمكم ... أمد لقلبي راحتي وأميد
لقد ذاب قلبي من دموعي عليكم ... على أنه في النائبات حديد
فيا ليت شعري هل على ما لقيته ... وكابدت من جور الفراق مزيد
لئن عاد ذاك القرب أو عاد بعضه ... وعدتم إلينا أنني لسعيد
على أنها الأقدار قد تبعد الفتى ... قريباً وقد تدنيه وهو بعيد

يا غريقاً في بحر الغفلة سافر المحبون على رواحل الصبر وقطعوا أرض الشوق وحطوا في روضه الأنس فتفطرت أنفاسهم بنشر القرب وعبقت بنسيم الوصل وقتيل الغفلة ما عنده خبر ما يسمع حديثا إلا من له سمع ولا يفهم معانينا إلا من له قلب ولا يحضر سماعنا إلا من له وجد.

يا راحلين إلى أطلال كاظمة ... سلوا الرسوم عن الأحباب ما فعلوا
إذا الصبا نسمت من نحوي كاظمة ... أميل وجداً كأني شارب ثمل
ففي الجوارح مذ فارقتهم شغل ... وليس لي غير تذكاري لهم شغل
سقى العقيق وما ظل العقيق له ... سحائب كجفون العين تنهمل
أحب رسم التقى من أجل ساكنه ... وما عليه التقى والرسم يشتمل
إلى متى أنت يا مغرور في دعة ... ويغرك الخادعان الحُرص والأمل
وأنت في لهو سكر ليس ينفعه ... من قلبك الناصحان العتب والعذل
ولا تهزك آيات الكتاب بلى ... يهزك المطربان المدح والغزل
ولا تسرك أخبار الوصال ففي ... أثنائها المكدران الصد والملل

ولا تغـرك أيـام الشبـاب ففي	أعقابها الموبقان الشيب والأجـل
فـزود النفس أزوادا لسفـرتهـا	فقد حد الحاديان السير والحمل
وبعـده حـدث فيـه تفـارق من	أمسى به المؤنسات الأهـل والخول
ويـمـده مـوقف صعب لشـدتـه	يخشى الورى المتلفان الخوف والوجل
ويحكم الله بين النـاس معـدلـه	فتـذكـر الحـالتـان البـر والـزلـل

إخوانـي

ما أسرع الحراب من قلب عمر بالمنى يؤمل مشيداً لبنا وربما ضربت لغيره اللبنات تحدث نفسك بأرباح الهند وربما كفنك عند القطار ببغداد يا هذا العلم ذهب والحمل ورق والمصارفة هاء وهاء يا من تخلف عن الباب حتى الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد أكثر من البكاء حتى غشي عليه فتقدم في الرفق بنفسه فقال لهم عبد الواحد يبكي عتبة على ذنوبه وأنهاه فيقال لي أنت ما بكيت وتمنع من يبكي أنت ما احترقت وتمنع من يحترق أنت ما تنوح وتمنع من ينوح.

سـأبكي عليكم بالـدموع تـأسفا	وأنـدب أيـامـا بـوصـل تـقضت
ولهفي على ربـع خلى من أنيسـه	وصـاح بـه داعي الفـراق المشتت
ودار لنـا بـالـرقمتيـن عهـدتـهـا	بهـا كـان أحبـابي وأهـل مـودتي
أطوف بها طـوف الحجيج بمكـة	وأسعى بهـا في كـل يـوم ولـيلة
ولـي زفـرات بـالغـرام تـأججت	لهـا في فؤادي نـار شـوق تلظت
سـأحبس نفسي في الخيـام لعلني	تجـود عيوني جـاريـات بعبـرتي
فيـا معشر العشـاق فـارقـوا المـذنف	غريبٍ بلى بالعشق في أرض غربتي

واعجباه كم أكرر ذكر الموعظة على قلبك وسبل الغفلة غالب ما أظن ما اصفر العمى الأغلب عليك وما في قدح الكحال حيلة لما لاح نور النبوة في آفاق الهدى رآه سلمان وعمى عنه أبو طالب لما أضاء مصباح الرسالة في ليل الكفر قبل عمر يسعى إليه فإذا به في دار الخيزران فضرب بيد الطالب باب الإنابة فنودي لقد أصابك رامي أحد الرجلين إذا عنى بشخص أجرى لـرياض قلبه عين الموعظة فازهر ربيع معاملته وعلامة الغضب جذب القلوب من الخشية لا يتفرج على شاطىء دجلة إلا من حصل له الكفاية لا يستريح من سفر التعب إلا من وصل إلى المنزل وما أشد

الحسرة على من فاته الركب وانقطع عن الرفاق.

بـالله يـا جـيـران واد الـفـضـا ... هـل يرجـع العيش الذي قـد مضى

مـذ بـان أهـل الـبـان بـان الـذي ... قـد كنت أخفيـه زمـان الـرضـا

وصـار يـوم بـعـدهـم أسـودا ... من بعـد مـا كـان بهم أبيضـا

وسـل يـوم الـبـيـن من غـمـده ... سيفـا عـلى أحـبـابـنـا وانـتـضـا

واصفـر غصن الـوصـل من بعـدهـا ... كـان نـضـيـرا بـهـم ربـضـا

قـضى لـنـا الـدهـر بتـفـريـقنـا ... وقـد تـولى جـمـعـنـا وانـقـضـى

ونـحـن نـدعـوه عـلى غـره ... يـا دهر هـل يـرجـع مـا قـد مضى

فـلا تـكـن ذا طـمـع فـيـهـم ... قـد استـرد النقـد مـن اقـرضـا

اسـأل رب الـعـرش أن نـلـتـقـي ... في مـوقـف الحشـر كمـا قـد مضى

واعجباه ما أعظم حسرتي أذكر غيري وأنا الغافل مولاي ما أشد مصيبتي أنبه غيري وأنا النائم سيدي ما أبلغ قضيتي أدل غيري وأنا الحائر إلّهي جد بالجود على مـذكر متكلف وسامع مختلف هذا يخلص في نصيحته واهدائه وهذا لم يخطر بباله مداواة ضره وبلائه إلّهي إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتي إليك أتراك المدلول ونزوله ليل إلّهي إن لم يكن كـلامي خالص لوجهك في مجلسي من حضر خالصا لوجهك فشفعه في تقصيري بنور وجهك وارحمنا يا أرحم الراحمين.

الفصل الرابع عشر

الحمد لله الذي أقام نظام الأكوان على عمد القدرة بلا شريك ولا معين وأبدع الأرواح اللطيفة في عالم الغيب فتبارك الله أحسن الخالقين واخترع الأجسام الكثيفة وجعلها من سلالة من طين ألف بين الأشباح والأرواح بسر لطيف خفي عن الإفهام وإدراك العالمين عقل أسد العقل بعقال المعقولات والمثقلة في سجن التكوين رتب ميزان الأعمال على موازنة القدرة فهذه كفة الشمال وهذه كفة اليمين رفع خيمة السماء على دعائم القدرة وزينها بالكواكب وجعل معها رجوماً للشياطين أبكى عيون السحب بمدافع القطر فضحكت من بكائها البساتين حدى سائق الرعد ركب السحاب فحملت النبات وصارت عبرة للناظرين كل ذلك دلالة على قيام الناس لرب العالمين فالعالم كله مقهور بيد المشيئة من الأولين والآخرين أعد

للخلائق الفناء وأعجزهم بالقضاء وأرضى بقضاءة قلوب العارفين. فسبحان من بيده القبض والبسط في أهل السموات والأرضين أحمده حمد من أعجزه التقصير عن مراتب الصالحين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها قاعدة إلى يوم الدين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاصة الأنبياء وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الغر المحجلين.

إخوانـــي

من خرج له توقيع القرب وله دليل السعادة على الجادة وغرس في قلبه أشجار الهداية وسقاها ماء الحماية فإن ثمار المعرفة على أفنان اللسان قطوفها دانية لقلوب هذا شرح منشور الإرادة فما يتعلل بالتحلف إلا عليل.

حكايــة

لما قدم عمير بن وهب المدينة عقل راحلته ودخل إلى المصطفى ﷺ وسيفه على عاتقه فلما رآه عمـر رضي الله عنه قال يا رسول الله هذا الغادر لا تأمنه على نفسك فقال له المصطفى ﷺ ما الذي أتى بك يا عمير فقال له من أجل أسير لي عندكم فقال له ما بال سيفك على عاتقك فقال له قبحها الله من سيوف ما أغنت عنا شيئاً ثم قال له المصطفى ﷺ يا عمير ما جلست أنت وصفوان في الحجر فذكر لما أهل القليب من قريش وقلتما لا خير في الحياة بعدهم وقلت له لولا عيالي ودين علي لخرجت إلى محمد وشفيت نفسي بقتله فتحمل صفوان بدينك والقيام بعيالك وجئت على أن تقتلني والله تعالى حائل بيني وبينك فكبر عمير وقال أشهد أن لا إله إلا الله وإنك محمد رسول الله والله يا رسول الله لقد جرى هذا الأمر بيننا وما معنا ثالث إلا الذي أعلمك به وما اطلع علينا أحد فالحمد لله الذي أتى بي لهدايتي فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «فقهوا أخاكم في دينه» وأسرعوا في إطلاق أسيره حبيبي هذا سائقة سقيت أقبل ليقتل فقلب وقبل.

واصلونـا في الهـوى أو فـاقـطـعـوا ... واسـعـدونـا كـرامـا أو فـذروا
نـحـن لا نـرغـب في غـيـركـم ... أبـدا مـا غـيـرتـنـا الـغـيـر
لـكـم الـنـيـران مـن أنفـاسـنـا ... ولـنـا بـالـحـبـرات الـمـطـر

قد برانا السقم فيكم والأسى وسبانا حبكم والسهر

طمع الواشون في سلوتنا ثم قالوا أنهم قد غدروا

قلت لا حلت عن العهد وإن غيبوا عن ناظري أو حضروا

كم لنا عقد الحمى من سكن تخجل الشمس به والقمر

كم حزرنا حزرا من بينهم حيث لا ينفعنا ذا الحذر

لو يبيعونا رجونا منهم بذل السمع لهم والبصر

ما قدرنا ندفع البين ولم نستطع لما دناها القدر

إخواني

لا يغتر بلعب الخيال من لم يعلم ما وراء الستر لا يغتر بالأحلام من لا يحلم التأويل إذا أدار فلك السعادة شمس القبول أشرقت أرض رياض قلب النائب بنور ربها إذا جن الليل تصاف عسكر النوم وعسكر السهر طلائع يتلون آيات الله آناء الليل وفي مقدمه عسكر النوم طلائع **﴿ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم﴾** فعند ظهور راية الفجر ينهزم جند الكسل والنوم فما تطلع الشمس إلا والغنيمة مقسومة وما لك مع القوم سهم لأنك ما ضربت بينهم بسهم.

حكايــة

قال بعضهم كانت لي جارة عجوز وكان لها ولد مسرف على نفسه فمرض بعد مدة فلما حضره الموت ندم على ما سلف واستيقظ من غفلته ثم قال لأمه إذا أنا مت فلا تخلي أحد بموتي فإني أعلم أنهم لا يصلون علي واجعلي قبري في بيتي فإني أعلم أني أذيت جيراني في حياتي وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتي فلما مات فعلت أمه ما أوصاها ودفنته في بيته وجعلت تبكي عليه وتقول يا ولدي ما أعظم غربتك وما أشد محنتك قد صرت رهين اللحد والموعد بيني وبينك المحشر ثم أقامت مدة تسأل الله سبحانه وتعالى في رؤ يته فرأته بعد مدة في النوم وهو في رياض موثقة وأنوار مشرقة وبين عينيه سطر بالنور هذا حال عبد اعترف بذلته وندم على خطيئته واستحى مما قدمه وجناه فعفى عنه مالكه ومولاه فقالت له أمه يا بني أخبرني بأمرك كيف كان فقال لما قبضت أوقفني المولى بين يديه وقال يا عبدي: أما

علموا أني مولاك فلم هجروك ولم يصلوا عليك وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك كأن عفوي ضاق عنك وعن سيآتك ثم خفت أن تدفن مع الموتى لئلا تؤذيهم وعزتي وجلالي لقد غفرت لكل من دفن قريباً منك إكراماً لحشمتك ورحمة لفقرك وذلتك.

ما وجدت لي سببا أتقي بها العطبا	قلبي المبرح بي بالذنوب قد حجا
قد ألح في تلفي من عظيم ما ارتكبا	فانظروا إلى قصتي تنظروا بها عجبا
كم ركبت معصية كم تركتها وجبا	كم ظواهر حسنت اتبعت بها الكذبا

إخوانــي

صحراء الليل لا يقطعها إلا كل ضامر النجيب في أول الركب والثقيل يحمل الحمول في الآخر لله در قوام الليل على أقدام التجهد تطوي سباسب الدجى حتى بلغوا المنزل وعند الصباح يحمد القوم السرى لله تلك الهمم العالية طلبت أعلى المراتب العالية وهمه الناقص شهوات البطن والفرج.

حكايــة

قال بعض الصالحين وقد سئل عن توبته فقال فكرت يوماً في ذنوبي وفي تقصيري وفي معادي فرأيت عمري ينقص وذنوبي تزيد ومعادي يقرب ونفسي على التوبة لا تقبل فرأيت بلاء لا تحمله الجبال فخرجت من بيتي مفكراً في سوء حالي فمررت بطبيب وعليه جمع من الناس يرفعون إليه القوارير ويطلبون منه الأدوية فوقفت معهم وقلت له يا شيخ هل عندك دواء للذنوب فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال يا هذا لو علـم العاصي لمن يعصي لذاب قبل المعصية فعدت إلى منزلي وقد أثر كلامه في قلبي فلزمت باب مولاي إلى أن قبلني ليت شعري أنت يا مسكين متى تخرج على التوبة متى يحن قلبك إلى فتنحى الأحباب.

عــرج على وادي العقيـق والقـضـا	واسئل أقام الـركب أم قـد فـوضـا
وسـل لـمـن في ربـحـه مـخـيـم	هـل عائـد من دهرنـا ما قـد مضى
مـا ضـر جيـران الحمى لـو واصلو	مـتيـمـاً ضـاق بـه رحب الـفضـا
فـالـقلب لا يـكـن مـن خـفـوقـه	وفي الحشا لبعـدهم جمـر الغضـا

مـا أبعـد الصبـر على متيـم   لولا الرضى بما قضى البين قضى

يا حبيبي من ضرب في عسكر المجاهدة بسهم ضرب له في قسمة الغنيمة بسهم من عمر ربوع أوقاته بالذكر كثرت فوائده يوم الفقر من المال من بذل هم همته في طلب الرضى احتمل التقليب على جمر الغضا أول مقام في طريق القوم بذل الروح وثاني قدم بذل النفس والمال وثالث قدم في مقعد صدق هذه طريق القوم فأين السالك هذه المنازل فأين المنازل هذه اللطائف فأين العارف هذه الألحان فأين السامع هذه المعاني فأين العاني يا ابن أدهم اسمع يا جنيد افهم يا شبلي احضر يا حلاج تواجد يا سري تقلق يا حبيبي أنت في طلب الدنيا كيف تطلب الآخرة إذا كنت عاجز عن الشهوات رسمك فكيف تطلب موافقة الصديقين منزل قلبك خراب من أوانس الأنس ولا نائح.

أيها الحادي مطايا الظعن   قف بنا نبكي عراص الدمن
وإذا أبصرت ساحات الحمى   مقفرات صبح بها واحزني
واسأل الأطلال إن جزت بها   خبرينا عن بناء سكن
فكأن القوم ما كانوا بها   وكأنا بعدهم لم نكن
يا حمامات اللوى نوحي على   غصن بان ليته لم يبن
كان مثل البدر في أفق السما   صار في القبر رهين الكفن
لو أجابت دراهم سائلها   لشكت من نائبات الزمن
رحل الساكن عنها عجلا   وخلا المسكن بعد السكن
قلت لما ودعوني وسروا   ليت روحي لم تقف في بدن
يا رسوم الدار من لي بعدهم   شجن حاز حدود الشجن
رحمه الله عليهم كلما   غردت قمرية في غصن

إلٓهي غاية جهد الطبيب أن يجرف العلة ويصف الدواء والعافية موقوفة على أمرك إلٓهي داؤ نا الذنوب ودواؤنا التوبة والقبول إليك إلٓهي كم قوي قطع في الصحراء وضعيف أوصلته إلى المنزل إلٓهي كم طائع أعرضت عنه فتلف وكم عاص نظرت إليه فعاش إلٓهي تفضل علينا بتوبة توصلنا إليك يا أرحم الراحمين.

الفصل الخامس عشر

الحمد لله الذي توج العارفين بتاج الولاية فقرب لهم البعيد وأنطق أرواحهم يوم الميثاق بشهادة التوحيد أشهد عقول بصائرهم صفات الوحدانية فهو منزه عن التجسيم والتحرير وحدوده في الأصلاب[1] ببقاء الباقي وثبوت التفريد شاهدوا دلائل المصنوعات تعلن بالفردانية ونفى التعداد والتوليد اطلع لبصائرهم فجر الفرح من أفق الموافقة فصبح اصطحابهم سعيد أجرى أنهار الحكمة على سواقي ألسنتهم فماؤه كل حين يزيد آثار در الذكر في صحراء قلوبهم وسقاه بمياه دموعهم فأثبت التقديس والتحميد والتجميد وحف به أشجار الأذكار فظلها على الذاكرين مديد تروضت روض رياض قلوبهم بأنهار الأفكار فهي صنعه من يبدي ويعيد وتعطرت أنفاس نفوسهم فحن إلى عرفها الغريب الفريد أدار عليهم كوؤس الشوق من خمر شراب المحبة فمنهم الواله ومنهم الصميد فزمزم أذكارهم بترنم من الذكر بالبسيط والتشييد فسبحان من قسم الخلائق قسمين فمنهم شقي وسعيد أحمده حمد من أخجله الحياء فسلم ما يريد لمن يريد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ادخرها ليوم الهول العتيد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قيد بشرعه كل شيطان مريد واطاعة من قضى له أن يكون في الدنيا والآخرة سعيد صلى الله عليه وعلى آله أصحابه صلاته استعدها اليوم يقال لجهنم **﴿هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾**[2].

إخوانـــي

كم زرع حصد قبل التمام وما بلغ لا يفتر باستصحاب الصحة من عرف مقدار السنين كيف لا ينكرها له أحواله ابن السنين كيف لا يعين منازل المنون ابن سبعين

---

(١) والدليل على صحة قول الإمام ابن الجوزي الآية الآتية:

﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف، ١٧٢).

(٢) سورة ق، الآية ٣٠.

﴿ويوم نقول لجهنم هل امتلئت فتقول هل من مزيد﴾.

كيف لا يجس بالهبوط ابن الأربعين الحرام فقط في جوف خشبة الجسم فإذا هبت عواصف المنون التهب وفات التدارك أكل الحرام كالكلب الشره لأكل الجيفة الحرام سهم يدب في جسم الروح فيميت القلب والعين جامدة العين والأذنان أذن لهما بالصمم والعقل واللسان خرس عن الذكر والأقدام قيدت عن التقدم والمجنون لا يفرق بين الحياة والموت.

حكايـة

كان لمحمد بن المنكدر غلام يتجر وكان يكتب على كل سلعة ثمنها فعمد يوماً إلى ثوب عليه مكتوب خمسة دنانير فباعه لبدوي بعشرة دنانير فلما أتى سيده أخبره بقصة البدوي طمعاً في إدخال السرور عليه فقال له سيده بئس ما صنعت ونزل يلتمس البدوي حتى أدركه فقال له أن الغلام قد غلط عليك بثوب خمسة دنانير فقال البدوي قد رضيت به فقال ابن المنكدر إن كنت أنت رضيته لنفسك فأنا لا أرضاه لك وأنت مخير إن شئت دفعت لك خمسة دنانير وإن شئت دفعت إليك ثوباً آخر فدفع إليه خمسة دنانير ومضى البدوي فنقص عنه فقيل له هذا محمد بن المنكدر فكبر وقال هذا والله الذي يستسقى به الغيث إذا نزل بنا الجدب في البادية واشوقاه يرى في المنزل من هؤلاء القوم نازل يرى في الربع من هذا السادات ساكن خلت والله الربوع فلم يبق منهم في الربوع ديار.

لـو أن خـيـالـكـم طـرقـا ... لـيـلا أحيـا منـا الـرمـقـا

ألبستـم عـاشقكـم سـقـمـا ... وكـحـلـتـم مـقـلـتـه أرقـا

نـظر الأطـلال وقـد درسـت ... وغـراب الـبـيـن لقـد نـعقـا

فـغـدا والـقـلـب تـقـلبـه ... الأشـجـان وثـورتـه قـلـقـا

لا كـان زمـان فـراقـهـم ... إذ خـان فـأورثـنـي فـرقـا

رحلوا سحـرا وجـدوا قمـرا ... يـجلوا بـمحـاسـنـه الغسقـا

وتـبـعـت رحـالـهـم أبكـي ... فخشيت على قـومي الغـرقـا

كم قلت لحـادي عيسهم[1] ... رفـقـا بـالقـوم فـمـا رفقـا

---

(١) العيس: قال الخليل: العيس والعيسة لون أبيض مشرب في ظلمة خفية. جمل أعيس وناقة عيساء =

بـل جـد وسـار فـأذكى النـار بـقـلب أصـبـح مـحـتـرقـا
ولـقـد أمـلت رجـوعـهـم يـومـا في الـدهـر فمـا اتفقـا

يا حبيبي كل الثياب تقبل الغسل إلا السمندل[1] فإن غسله النار وارى ثوب أعمالك أشبه به يا هذا ألا تنظر إلى المترهفين في الشهوات فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين الحرام كبريت في حراق القلب ينتظر قادح الحساب إلا أن الغافل لا يحس به ولتعلمن نبأه بعد حين كم انبسط على بساط الآمال من الغافلين وما بلغوا معشار ما آتيناهم وحياتك إن أمهلت من الدهر برهة فسيأتيك الأمر فجأة.

حكايـة

كان رجل يخرج كثيراً إلى الغزو وكان يأخذ السبي[2] فتعب وقتا في أسير فلما أخذه وأوثقه نام من التعب فرأى كأنه يمشي وقد عثر به فرسه فقال له قبحك الله من فرس فقال له الفرس قبحك الله من راكب أنت تريد أن تأخذ السبي كل مرة وقد جاوزت البارحة في علفي قيراط نحاس فاستيقظ الرجل مرعوباً فكان الأمر كذلك فعلم أن سبب تعبه في الأسير ذلك القدر من النحاس لله در أقوام صبروا على حمية الزهد فحملهم بأكف الكف ويحك قد احتويت على أربع مؤدية إلى التلف النشيب والحرمان والذنوب والشقاوة لا لثوب طاهر ولا لبدن نظيف ولا لقلب نقي أين فيض العبرات لحلول العبر أين التلهف على زمان عبر أين البكاء على فقد

= والجمع عيس...
قال: والعرب قد خصّت بالعيس الإبل العِراب البيض خاصة ـ مقاييس اللغة لابن فارس (١٩٣/٤)، الطبعة الثانية، ط. مصطفى الحلبي.

(١) جاء في لسان العرب مادة «سمندل» (٢١٠٥/٣) ط دار المعارف:
سمندل، أبو سعيد: السمندل طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه.
وقال غيره: هو دابة يدخل النار فلا تحرقه.
وجاء في المعجم الوسيط.
السمندل: حيوان من رتبة البرمائيات صغير الجسم غالباً يشبه العضاءة في شكلها العام...
وقيل: أنه نسيج بعض الطيور فلا يحترق.

(٢) السبي: الأسر، «مختار الصحاح مادة سبا»، ط دار التنوير العربي، بيروت ـ لبنان.

أحباب لم يحل فراقهم في الفكر هل تحس منهم من أحد وتسمع لهم ركز.

سح سحاب الأدمع على الرسوم الأربع
وفاضت العيون الأدمع فيها كأنها السحاب الهمع
ولاحت الأرض لنا من نحو أرض لعلع
وأضرمت نار الأسى بين الحشى والأضلع
لله أيام مذ فقدتها يا كبدي تقطعي
كم أنس يوم بينهم مقالة المودع
هذا فراق لم يكن في خاطري بموقع
وصحت من نار الجوى ويلاه خاب مطمعي
فقال لي مسلما مودعا بالأصبع
ارجع فلا شك لنا ذاك الرجوع غاية المودع
فعدت من توديعهم ولم يعد قلبي معي

يا حبيبي إذا مزق ثوب ثوابك مسمار المخالفة فعليك برقاع الندم إنما يرجو الرجوع إلى الجادة من تاه أيام وأما من تاه خمسين سنة على التلف يا من جعل سور المدينة موضع اعتباره أخطأت الطريق أنت ما عبرت بعد أنها تدخل المدينة من الباب وأتوا البيوت من أبوابها لو رفعت عالم المعاني في ركب الفكر لرأيت أعلام المعرفة في أقرب مدة يا حبيبي خوف السابقة شق قلوب السابقين حتى قلق القلق قلوبهم بذكر المحبوب لولا نسيم السحر فيم لهم بنفحات الاستغفار فيبرد لهم برد هل من سائل لولا حرارة كبدا لمكابده لذابوا من حر القلق نفائس أنفاسهم أعطر من نسيم نجد.

أما الغريب منجد منك يا نجد فكم يربوع الدار لنا عهد
وكم وقفة لي بالربوع واد معي تفيض فيسقى ماؤها البان والرند
أحبه قلبي لم نزلتم برامه وخلفتم نجدا أضاقت بكم نجد
وهند فما لي لا أراها بحيكم فشوقي إليها لا يجاوزه حد
أحن إذا البرق اليماني لاح لي ويقلقني وجدي إذا ذكرت هند
ويجري على الخدين دمعي تأسفا أكفكفه لا يستطاع له رد

يا حبيبي طب مواعظي يصلح الأجساد والأرواح فهو للعارف مجلس أنس وللتائب مجلس حزن وهو لأهل النهايات إشارات ولأهل البرايات عبارات إلّهي أنت بسط لساني في ميدان العبارات يميل الثناء وعليك وبحسن صفات أوليائك الذين هم أحب الخلق إليك فروض رياضهم يزهو على السامعين هو الربيع على المصيف إلّهي ثبت جميل ما وهبته لنا من توحيدك إلى أمات واجعلنا ممن إذا ذكر حرارة ذنوبه أطفأها بفيض العبرات ارحمنا بمن قبلت منا فقبلته فعاد من نحاس المعصية ذهبا يهدى به إليك يا أرحم الراحمين.

الفصل السادس عشر

الحمد لله الذي فتح أقفال قلوب العارفين فشاهدوا ما خفي من الأسرار وأغلق أقفال الشقاوة على قلوب الكافرين والجاحدين والمشبهين والفجار أعجز عقول أهل الحقائق عن الغوص في بحر عظمته والغائص لا يدرك له قرار بسط رداء السماء وعلى مبسوط الجو رصعه بجواهر الكواكب فحارت في بدائع الأفكار أدار الفلك الدائر وزينه بالنيرين وجعل لهما بروجاً يعلم بها وجود الليل والنهار رقم ديباجة وجه السماء وزينها بياقوتة حمرة المريخ وبلوره بياض المشتري وإشراق درة الزهرة فيروزج وجه عطارد وجعلا كلا منهم يجول بمقدار أحكمت يد قدرته نظام ملك ملكوته وما تعاقب به الأقدار جعل عساكر الدنيا ثلاثة ما تعاقب الجديدان: الليل والنهار فعسكر الأصلاب مستقرة الأرحام وعسكر الأرحام مستقرة الدنيا وعسكر الدنيا مستقرة بقيود الدثار ثم تجمع العساكر وتقسم عسكرين فواحد في نعيم الجنة وواحد في عذاب النار هزم عساكر الجديدين وهدم دار الدنيا وعمّر دار القرار بهذا جرى القلم في اللوح المكرم فسبحان من كل شيء عنده بمقدار فالعارفون تصفحوا ألواح الأكوان وشاهدوا بعقول البصائر ما خفي عن الأبصار جعل المعالم صوره وقلوبهم تجول لطلب مشاهده معناها في السر والإجهار فيا ليت شعري ما الذي حجب هذه القلوب وكيف استقر بها القرار أحمده حمد عبد وكل أمره لصرف الأقدار وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من عذاب النار وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وتابعيه من المهاجرين والأنصار.

إخوانـــي

ما لقلب العزيمة قد قلب، وما لنور البصيرة قد حجب، وما لديوان العبادة قد خرب، وما لسبيل الهداية قد سلب، وفي العالم المظلوم قد رغب وحمى مزاج الشهوات من الشره بحمى شطر غب أف لعالم قنع من الصفات بالأسماء وعكف على الرسوم وترك المعنى عقله لا يدرك وبصر بصيرته أعمى إذا نام الركب فمن يسري إذا نشرت معاشر العلماء قد خزنتم في أسفار قلوبكم بضائع العلم لكنه إذا دخلتم مدينة العمل فلستم فلافس فلو عرضتم ما كسبتم على نقاد الإخلاص لنكستم رؤوس الدعاوي ولو استقيتـم في سكني حبسي الورع لجسم عن الفتاوي شجرة العمل بالعلم أصلها ثابت وفرعها في السماء لا تهتز لعاصف من عمل شيئاً نفعه وشجرة السمعة لبلاب ترى سقوطها عند هبوب إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

حكايــة

روي عن بعض العلماء وقد استنكـف عن العمل وتورع عن الطلب أنه سأله بعض من يدل عليه فقال رأيت القيامة وقد قامت ونودي بالعلماء فأردت التقدم معهم فنادى منادي يا فلان ضيعت العلم ضيعك الله فقلت أنني معتكف على الطلب والنظر فقال ويحك هل العلم إلا بالعمل فانتبهت مرعوباً وآليت على نفسي أن لا أزال عاملاً حتى ألقاه قال بعض السلف إذا كان يوم القيامة وسيف الخلائق إلى أرض المحشر نادى منادي من تحت العرش يا معشر العلماء اجتمعوا فيقفوا صفوفاً فتأتي امرأة على نجيب من نور فينتظرونها العلماء فينكسون روؤسهم فيناد منادي معاشر العلماء هذه رابعة العدوية عملت وما علمت فماذا عملتم فيما علمتم يا حبيبي دمع العين عنوان كتاب الندم وإسبال العبرات دليل الاعتبار بالعبر.

بقلبــك سـر أظهــرتــه المحــاجــر	غـداة استقبلت بـالحبيب الضــوامـر
ومـثـلك يــوم الـبـيـن بـكـم ســره	إذا كـــان لـلبـيـن الـمـشـت أوامــر
فـلا تأمنن الـدمع مـا عشت سـاعـة	فـدمـع الهــوى يـوم التفــرق غـادر
ومـــا كـان ظني أن دمعي يخــونني	ويــظهــر مني مــا تجن الســرائــر

أباح الذي أخفيت من عالج الهوى غـداة النوى والسـر مني ظـاهـر
سـروا يـوم بـانـوا بـاللوى فكـأنكـا فـؤادي من روع التفـرق طـائـر
كـأن مـطايـاهم وقـد وجـدت بهم لـهـا من فـؤادي مـورد ومصـادر
ألا فـارفقوا بي أيهـا الركب سـاعـة فمـا الشـوق إلا مـا تكن الضمـائـر
ظللت أنـادي في طـلول ربـوعهـم أيا ربع هل من بات في الربع زائر
وكيف يجيب الـربـع والـربـع دارس وهيهـات تنبيـك الـربـوع الـدواثـر

واعجباه لما سرت ركائب المجتهدين في الرياحين ضرب على أذنك بعدم الأذن وختم على سجل قلبك بخاتم ولكن كره الله انبعاثهم تناولت خمر الحرام فغلبك سكر النوم فحسبك شرط القدر عن القوم في سجن النوم يا حبيبي من ذاق حلاوة الآنس بالحبيب في الخلوات باع النوم بنقد السهر كم لك تائه بوادي المعاصي فمتى تنزل بوادي الندم فهو مشعب ورائحته مستكية.

حكايـة

قال أحمد بن الفرج دخلت بعض بساتين العراق فرأيت إبراهيم بن أدهم نائماً تحت شجرة وعند رأسه ثعبان لم أر مثله قط فيـه غصن نرجس وهو منتصب يطرد الذباب عن وجهه فبقيت مبهوتاً فسمعت هاتفاً من خلفي يقول يا هذا ألا تعجب ما رأيت فما لولي الله سبحانه من عدو إلا إبليس لأنه من أطاع الله عز وجل إطاعة كل شيء وخدمته الدنيا بما حوت يا ابن أدهم أيما أعظم هذا الملك أو الملك الذي قررت منه يا إبراهيم خرجت لتصطاد ظبياً في أحبولة حباله الحبيب لله درهم من رجال حثيهم إلى مناجاة الدجى مثل جنين قيس إلى ليلى.

إذا ذكـرت ليلى ونعمـان والحمـى أذوب اشتيـاقـاً ثم أبكـي تـألمـا
وأن هب لي ريح الصبا من ديارهم تنسـمت مـن ذاك النسـيم تنسمـا
أبث هـوى ليلى إذا الليـل عـاكف فعاد الدجى صبحا وقد كان مظلمـا
وحـلت بقـلبي مـنـزلاً نـزلـت بـه فهـام بهـا وجـداً وأضحـى متيمـا
وأدلـج قلبي بـالـمحبـة هـائمـا ومـا كان يدري الحب لكن تعلما
أرى صفـة المحبـوب لما بـدا لـه وفـهمـه سـر الهـوى فـتفـهمـا

تجل عن الإدراك أوصاف ذاته تنزه عن هذا الجناب المعظما
وجالت الأسرار الهوى فى خواطر سرائر أيدت للسان مترجما

يا من هب على عارضه دبور الأدبار وجنوب المجانبة حتى قرب من ساحل الشيب فانكسرت سفينة عمره ويحك أخرج على عود العود إلى مدينة التوبة فعل بعض ما غرق يطفو بقيه الله خير لكم إذا كان نور الشمس يحجبها حجاب ساعة فكيف عن شمس عقله محجوب خمسين سنة كلما أضاء للعارفين ضوء التوحيد مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا للاستغاثة يا حبيبي باب الذل أقرب لدخول قفص الملهوفين لما أدخل آدم عليه السلام قصة ظلمنا أنفسنا وقع على ظهر قصته فتاب عليه.

إخواني

اجتمعنا في هذا المجلس ولا دمعة وتتمزق ولا خشية قد خجلت معكم من بسط لساني بالتوبيخ لنفسي فبالله يا إخواني ساعدوني بالبكاء ساعة تبث آخران قلوبنا فلعل ريح قميص يوسف تأتي مع بشير القبول.

فديت الذي في خلوتي هو خامر أحادثه والربع منه بعيد
وألقى سؤال الأثم أصغى لرده إلى كما قد كان وهو شهيد
فأطرب من ريح الجواب إذا أتى وإن فاتنا حينا ونحن قعود
وأجرى اعتراضاتهم أخجل كيف لي أعارض من أبدي له وأعيد
فأسأل منه صفحه وهو عالم كما اهتز جيد صافحته عقود
واجعل عذري أنني رهن حبه وللدهر فيه موعد ووعيد
وأهزأ في حالتي فمتى ترى أرى وجهه أني إذا السعيد

إخواني

اسمعوا بحياتكم مقالة مشفق إذا أخرجتم من المجلس لرفع القصص فاعلموا أن فيها ما يبطىء فرفعوا القصص فلعل في بقية اليوم يخرج الجواب برد الوصال ونشر أعلام القبول فمن وجد منكم فرحا بمحبوبه فليذكرني فإني السفير وليفض

على مما أفاض الله عليه إلٓهي قد بالغت وبلغت وها عبادك كل منهم قد حمل من الموعظة قدر طاقته وهم على سفر إلى بابك رجاء في الربح وجميل العطايا يا إلٓهي لا تزدهم بالخيبة والخسران محرومين واردهم وإياي لعطايا اللطف مرحومين يا أرحم الراحمين.

الفصل السابع عشر

الحمد لله الذي أحصى أعمال الخلائق في ديوان المقادير فلا يخفى عليه خافية قسم بيد العدل مقدار الأرزاق والآجال مقادير متساوية رفع قبة السماء على أعمدة القدرة ورصعها بالكواكب الثابتة والجارية أدار دواليب أفلاكها على قطب الشمال والجنوب فهي رائحة بأمره وغادية رقم كمن حلتها بالنيرين فهذه ممحوة وهذه بإشراق الشعاع ماحية ركب جنود المنازل على خيول البروج ليعلم برحيلها أن الدار زائلة فانية جعل الدنيا كزهرة الربيع فمدتها أضعاف أحلام واهية فكم أبادت من الأحباب وغيبت في ترابها من الأتراب فلم تبقى منهم باقية الحليم الذي ألف بين الأجسام والأرواح بتدبير لطيف لا تدركه العقول الوافية أبكى عيون السحب بمدامع القطر على أموات النبات فإذا بها على الربا رابية كل ذلك دليل على حياة الأجسام بعد أن كانت رمما بالية فلله در العارفين علقو آمالهم بالمحبوب فهممهم نحو السمو سامية وحنت أرواحهم إلى حضرة جمال الحبيب فإذا بها في أسنى المراتب العالية ألبسهم ثياب التنزيه في الأكوان والاستماع لطيف نغم الألحان والخلوة بالحبيب فهم في عيشه راضية رفع لهم الحجاب فشاهدوا المحبوب بقلوب صافية فسبحان من قهر الوجود من العدم وأباد بسيف الفناء جميع القرون الماضية أحمده حمد من رجاه لكشف كربه وخوفه من حر نار حامية وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة استعدها إذا دهت من سكرات الموت داهية وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيقظ برسالته النفوس الغافلة والعقول اللاهية صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أنجو بها من أهوال الطامة وخوف الزبانية يا بائعاً عمره بثمن بخس وقد أضاع الثمن يا محبوساً في سجـن الغفلة لو أشـرفت على وادي الدجى لرأيت قصور القوم على شاطىء نهر كانوا قليلاً من ما يهجون وسمعت بلابل أشواقهم على أغصان الأشجار وتترنم وبالأسحار هم يستغفرون صفا لهم وقت

السهر من رقيب النوم فخلوا بالمحبوب وحملت المسامرة للقلوب فوجلت ما أطيب الحديث بين المحبين هذا يشكو منه وهذا يشكو إليه.

حكايـــة

قال بعضهم رأيت غلاماً راقداً على الأرض وقد افترش التراب وتوسد يمينه وهو يئن أنينا شديداً وكان معي رجل فقلت لصاحبي أعدل بنا إلى هذا العليل فقال لي ما هو عليل هذا في الباطن من المحبين وفي الظاهر عبيد قال فتقدمت إليه فإذا فتى عليه جبة صوف بالية خلقه، فسمعته يقول: عجبا لمن وصل إلى معرفتك وذاقه حلاوة محبتك كيف يتقطع عن خدمتك ثم لم يزل يرد ذلك حتى غشى عليه فقلت لصاحبي المجنون والله من يبلغ إلى هذا الحال ثم استفاق من غشيته فنظر إلينا وقال ما بالكم تنظرون إلي قلت لعل دواء يشفي من الداء الذي تجده فقال أن الذي ابتلى بالداء عنده الدواء ولكن يطيب من يتداوى بحتمي قلت بماذا قال بترك الحرام والتعرض عن الآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام وأخـذ القليل من البلغة والصبر على البلاء في حال السخط والرضا والتعفف والقناعة عند وجدان الاستطاعة والاستعداد للموت وإعداد الجواب لمسألة منكر ونكير والوقوف بين يدي الملك القدير ثم إما إلى الجنة وإما إلى السعير ثم بكى حتى علا بكائه وبكينا معه بكاء كثير وقلنا له أنا أضايفك فادع لنا فقال لست من خيل هذا الميدان فاقسمنا عليه فقال جعل الله قراكم عنده المغفرة وجعل مأواكم الجنة وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال فانصرفنا عنه وقد انتعشت قلوبنا من حسن لفظه وترتيب موعظته يا حبيبي هذه حالة المجانين من حب الحبيب فما موعظتك أنت يا عاقل أين أنت من هؤ لاء الرجال.

يـــا من بـــديـــع جمـــالـــه الفتـــاني	يـسبـي عـقـــول أعـــزه الـفـتـيـــاني
لـولا وصـالـك لي لمـا علق الهـوى	بحشـــاشـتي وثـنـــا إليـك عـنـــاني
لاحــظـني نـــظـرا تـضـمـن قـتـلـتي	فعجبت من راعيـــك حين دعـــاني
يـــا نـظرة أهـــدت لسـر ســرائــري	شـــوقـــاً فـلم تـنـظر إلـى إنســـاني
فـتـــراسلت أســـرارنـــا وتـمـــازجـت	أرواحـنـــا وســـرت عن الـجـثـمـــان

مـالي وللبـرق الـخفي بمهجتي يـتـذكـر الـخـلان والـجـيـران
وإذا بـدا ذاك الـنسيم يـميلني وجـداً وان سـجـع الـحـمـام
شجاني لولاك ما هذا الغرام معاطفي طـربـا ولم أصبـو إلـى الألحـان
ومـنـيـع داع لا يـعـز نـقـاءه كيف السبيـل إلى المنيع الـداني
أشـتـاقـه لاعـن ثـنـاء بيـننـا لـكـن يحـن إلى لـقـاه جنـانـي
مـا قـلت آه تـألـمـا مـن وجـده لـكن الـفـرط لـذاذة الـوجـدانـي

يا متمسكاً بحبل الهوى وقد وهى واها عليك كيف طابت لك صحبة إبليس ونبذت صحبة الملائكة جاز عليك البهرج حين عدمت نقاد العلم إذا رأيت العقل يؤ ثر الخسيس على النفيس فاعلم أنه عكس لو ظهر لك عند تحصيل الشهوة لرأيت شوه وحياتك ما يبلغ الزاد من لزم الرقا ولا ينظم في سلك الأجواد إلا من استعد الزاد ولا يحظى بشرف القبول إلا من أطاع الرسول واعجباه كم أرشف قرطاس سمعك بسهام المواعظ وما صادفت الهدف كم ارمى عن قوس تعددك بنصول الخوف وما أصاب الغرض إذا حال القنام بين السهم والهدف فما حيلة الرامي وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ما أرى ساعد المساعدة إلا ضعيفاً عن تبليغ السهم.

حكايـة

قال بعضهم انقضت قطعة عن عمري في الواعظ فلم أجد لكلامي بهجة ولا موقعا في قلبي فبت مهموماً لذلك فنمت فهتف بي هاتف وقال لي يا هذا أخلص كلامك من شرك المطامع يوجد له موقع في القلوب والمسامع فانتبهت وقد عرفت علتي إلٓهي علق أطماعنا بأذيال الرجاء واجعل كلامنا كله خالصا لوجهك.

إخوانـي

كانت حلل المجالس تطرز بمثل الجنيد والكرخي والشبلي وكانوا إذا أشربوا حمياً السماع بأقداح الوجد سقوا الحاضرين هذا فعل الكرام فوأسفاه على فقد الأحباب فوأسفاه على بعد الأتراب كانوا فبانوا.

فـقـديِ لـسـكـان الـحـمـى أجـرى دمـوعـي بـالـدمـا

نادى المنادي بالنوى　　فازداد قلبي ألما
يا ليتهم لو ودعوا　　صبا كئيبا مغرما
صاد لماء وصلهم　　من هجرهم يشكو الظما
زمانه قد انقضى　　وهو يقول ربما
وكل من يعذلني　　في حبهم قد أثما
قل كيف اسلوا عنهم　　وهم حبالي واللما
فالصبر عني راحل　　وحبهم قد خيما
ما كنت أدري ما الهوى　　قلبي بهم توهما
يغمى على الإنسان كي　　يجهل ما قد علما
من رام أن يحجبكم　　عن ناظري قد ظلما
وفي سويدا خاطري　　أنتم فمال والحمى

يا من أرضى قلبه سبخه متى تعشب أرض قلبك بصراحك متى يستحيل حال حالك متى يصفو لون قلبك الحالك متى يطلق مأسور عزمك الهالك يا مقتول بسيف سوف يا من همه في ملىء الفرج والجوف يا أهل المصائب والأحزان هذا مأتم الأحزان والمصاب واحد قد ولت ركائب الأعمار وأنت في أعقاب السافه فما أقرب بك للانقطاع أن لم تدارك فوت سير بعزمه عزم استغث ويحك لذ بالواصلين لعل عطفه عطف عسى يحمل همك.

حكايـة

قال رجل للدينوري وهو يعظ الناس يا شيخ ما الذي أصنع وكلما وقفت على باب من أبواب المولى صرفتني قواطع المحن فطرحتني على أرض الغفلة فقال له الشيخ يا ولدي كن على باب مولاك مثل الصبي الصغير مع أمه كلما ضربته ترامي عليها وكلما طردته تضرع بين يدها فلا يزال كذلك حتى تحن عليه وتضمه إليها يا هذا هب أنه صرفك عن بابه إلى باب من تروح وإلى أي طريق تذهب وإلى أي جهة تقصد الزم الوقوف بالباب فلعل أو عسى يثمر عود عسى.

إذا أنا لم أصبر على من أحبه　　وإن حال عن وصلي فما أنا صانع

أأتــركــه والـقلب مـن فـرط حبـه أسير بمـا تــطوي عليه الأضــالـع
أأسمـع فيـه العــدل والحب حـاكم أأكتم مـا قـد أظهــرتـه المــدامـع
ويعتبــنـي قــلبي إذ ازداد حــبـه فــأضـرب صفحــاً دونــه وأمــانــع
وإن ذاد بي مــا اشتكيــه فحسبــه على كـل حال عنـد شكواه شـافـع
فـلا عيشـه تصفـو ولا مـوعـد يفي ولا نــظر يسلو ولا الصبــر نــافـع
أرى الدهر يمضي بـرهة بعـد برهـة ولم أرج مـا مـالت إليـه المـطامــع
وإن ضقت ذرعـا بـالـذي قـد لقيتـه فكـل مضيق فهـو في الحب واسـع

واشوقاه إلى أرباب القلوب واتوقاه إلى أوقات الأنس بالمحبوب واحنيناه إلى أيام الصفا يا حبيبي إن لم تكن في طلائع المحبين فإياك أن تتخلف عن ساقة المستغفرين ويحك إلى كم تشيع ركائب التائبين وترجع سيصلون وتقطع سيظفرون بالمنا وتمنع إذا فاتك الربح في الموسم فبأي الأرباح تطمع.

ألا أيهـا الصبُّ الذي شـاقه الحمى فــأضحى كئيبــاً مستهــامــاً متيمــا
حليف سقـام سـاهــر الليـل بــاكيـاً تسح لفرط الشــوق أجفــانــه بمــا
أفق يـا صريـع الحب لوعـه الأسى فلم يصبح من قدر كان بالحب مغرما
يقيم إذا مـــا الليــل مــد ظلامـــه على نفسه من شـدة الـوجـد مــأتمـا
فصيحـاً إذا مـا كــان في ذكـر ربـه وإن سـألـوا عن غيـره كـان أعجمـا
تــذكــر أيــام مضت مـن شبــابــه ومـا كــان فيهـا بـالجهـالـة أجـرمـا
فصــار قــرين الـهم طـول نـهـاره ويخــدم مـولاه إذا الليــل أظلمــا
يقــول إلٓهـي أنت سـؤلي وبـغيتـي كفى بــك للراجين سؤلا ومغـنـمــا
فــذلــك ينجيــه الجـليــل يعـفــوه ويسكنــه الفــردوس فيهــا منـعـمــا

إلٓهي نور قلوبنا بنور عفوك إلٓهي عمر أوقاتنا بالاتصال بما يرضيك إلٓهي انظم شتات شملنا بحجب مغفرتك إلٓهي سلم من استسلم لقضائك إلٓهي لا تسلط علينا قواطع المحن يا أرحم الراحمين.

الفصل الثامن عشر

الحمد لله الذي بذر حب الحب في أرض قلوب العارفين فاهتز ربيعه وسقى

حدائق أسرارهم بماء الجباه فتكامل من حسن بديعه خفق نسيم لطفه على وادي الفؤ اد فصفا من الأكدار جميعه هيم فـؤاد المشتاق من حبه فجرت من هيمانه دموعه أوصل بحبل السعادة هذا وأبعد بالشقاوة هذا فقطعته قطوعة أسهر عيون الخائفين والعارفين فكل طرف خالفه هجوعه سرت همم العارف إلى أسماء المعارف فلله هبوطه وطلوعه صقل جوهري العناية جوهر قلوبهم فظهر الماعة ولموعه فتح بهم اقفال المقامات والآن لهم صعبه ومنيعه فأهل المشاهدة والمؤ انسة غابت شواهدهم في الفكر وعمروا دياره وربوعه فأهلا بمن تيمه الحب حتى أظهر عنوان ما تكن ضلوعه فسبحان من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه فهو مجيب الدعاء وسميعه أحمده حمد من فر إليه من موبقات ذكر ما يروعه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لأمر مولاه سامعه ومطيعه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي خرب بمعول نبوته قصور الكفر وربوعه وشهد له القرآن بأنه لكل مذنب منقذه وشفيعه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ناح حمام وترنم ترجيعه يا حملا لقبره حملا الخطايا يا بئس ما حملت يا عاملا لنفسه ناصبه الرزا بئس ما عملت كم أسكرك ساقي التسويف بكأس سوف كم عوقك من دخول حمى الحماية شرطى الطواف تجمع المال لغيرك وأنت المسوؤل تزعم أنك به قاتل وأنت المقتول ينعم غيرك وأنت المعذب رب ساع لقاعد لا يتعب قلبك في مجلس الصلوات غائب وفي السوق قائم على ساق أين أنت إذا قلت وجهت وجهي ويلاه ركب الهوى مقيم وركب الشوق خاطر فمتى يقيم المخاطر ويرحل المقيم أين الذين كانوا نجوم السلوك وشموس الأحوال أين جمال المنقطعين أين أدلاء الحائرين رحل والله القوم فلا أثر خلت الربوع فلا خبر فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليل يا من يحول قلبه في أراضي الغفلة إذا أخربت أرض المعاملة فعلى من يضرب الخراج صبر الخضرا على موسى عليهما السلام في ثلاث مخالفات ثم قال هذا فراق بيني وبينك فكم لك في لحظة من مخالفة لمولاك.

إخوانــي

إياكم والمعاصي فإنها أذلت من أذلت حتى أسقطت تاج اسجدوا إلى أرض فعصى ونكست رأس اسكن أنت بذل اهبطا منها يا مسافرون أين الزاد يا راحلون أين الركائب.

حكايـة

قال بعضهم كنا نسافر إلى مكة شرفها الله في كل سنة فسافرنا في بعض السنين فإذا برجل يبيع الحنطة فاشترينا منه فوزن منها واكتال لنا ثم عدنا في السنة الثانية فوزنا منا وأكتال لنا ثم عدنا في السنة الثالثة فقال اكتالوا أنتم لأنفسكم فقلنا ما عهدنا مثل هذا في السنين الماضية قال فكأنكم ما تنقلون في كل سنة من منزله إلى منزلة بخ بخ فبهت بعضنا إلى بعض وتعجبنا منه وأنت يا مسكين مقيم على تضاعف الذنوب خمسين سنة ونقصك للمثاب في سنة أين تلهف الملهوفين أين تحرق المحروقين.

أشكـو إلى الله كـمـا قـد شكـى ... أولاد يـعـقـوب إلـى يـوسـف
بـضـاعتي المـزجـاة مـحـتـاجـة ... إلـى وفـاء مـن كـريـم وفـي
فـأوف كـيـلي وتـصـدق عـلى ... حـال المقـل البـائس المضعف
فـقـد أتى الـمسكـيـن مستـمـطـرا ... جـودك فـارحـم ذلـه واعـطـف

يا نائماً في قفار التسويف اخطأت الطريق، صبي غفلتك يقول: إذا شبت تبت ولسان القواطع يناديه هيهات هيهات لما توعدون علامة الهلاك للمريض التسويف قواعد آمالك مبنية على شفا جرف هار عزيمته للتوبة عزيمة يازي وعند عقد العهد تفر فرار رحمة تنقض عزيه العزم بالتسويف كالتي نقضت غزلها كلما ابيض الشيب اسودت الصحائف كلما ضعفت القوة قوي المرض كلما قصر الأجل طال الأمل.

(حكـايـة)

قال الحسن البصري[1] فكرت ليلة في أمري وعرضت نفسي على القرآن

---

(١) الحسن البصري هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة ١١٠ وأخوه سعيد بن يسار أكبر منه توفي قبله سنة ١٠٠ «تهذيب التهذيب» له ترجمة في المراجع الآتية:

١ ـ ميزان الاعتدال (١/٥٢٧).

٢ ـ حلية الأولياء (٢/١٣١).

الكريم فما وجدتها فيه لا من أهل الجنة ولا من أهل النار أما في وصف الجنة بقوله تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ الآية ما وجدت لنفسي فيهم وصفا ونظرت في وصف أهل النار في قوله تعالى: ﴿**لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين**﴾. الآية فوجدتني أصلي وأطعم المسكين ولم أكذب بيوم الدين فتحيرت في أمري فصاح بي صائح من ركن البيت لا من هؤلاء من هؤلاء ولكن من قول فخلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى أن يتوب عليهم فسرى عني يا حبيبي هكذا يستنشق المحزونون نسيم اللطف فتظفر راحته بالراحة.

يا نسيم الصبا بنجد ألما	واقرعني السلام هندا وسلما
وإذا ما استهل وسميك السائل	فاجعل لرسمه منك رسما
وتوقف ببطن رامه وهنا	وعسى أن وقفت جددت علما
كم أنحنا بها الركائب إذ كنا	وكان الزمان بالوصل سلما
والهوى بيننا هو الحكم العدل	فما بال دهرنا جار حكما
فاستمل الجواب عن حكم أحبابي	اما إلى الوصال واما

يا مريض الخطايا متى تجد بجران العافية إذا اجتمع خصمان المرض والصحة عند قاضي فيوقع سجل البحران بابدار العافية والسر في حمى الشهوة والمطبقة ولعله إن لم يغرق في هذا البحران ففي الثاني يا حبيبي إذا استأثر الأسد الذيب فاعلم أنها خدعة وإذا رأيت أسد العقل مأسورا في يد ذيب الشهوة فاعلم أنها حيلة ففكر في خلاصه في حيلة واعجباه كم يصيح النصح بلسان فصيح ولا سامع لا ينفع العذل المتيم ولا يسمع العتب عاشق.

سواء أن تلوما أو تريحا	فإن القلب لا يهوى نصيحا

= ٣ ـ طبقات القراء لابن الجزري (١/٢٣٥).

٤ ـ تذكرة الحفاظ (١/٧١).

٥ ـ طبقات المفسرين للداودي (١/١٥٠) ترجمة رقم (١٤٤).

٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٥٤).

معاتبة على التفريق كفى كفى بالبين خطبا مستبيحا
أما لو ذقتما صرف الليالي إذا لعذرتما القلب الجريحا
وكانت فرقة الأحباب ظنا فأضحى بينهم خبرا صحيحا
فسمعي لا يميل إلا عزول وبغني لا يرى إلا قريحا
ولو لم تنزلوا هضبات نجد لما استنشقت للهضبات ريحا
ولا أهديت للأسماع يوما نواحا من حمائها فصيحا
وها أنا قد سمحت بدمع عين وكنت بدمعها أبدا شحيحا
وأمكنت المحبة في فؤادي قضت مع النوى ودا صحيحا
لقد سكن الهوى قلبا صبورا وقد نزل الهوى صدر فسيحا

يا هذا المسك دم غزال يرى فإذا تغرب صار في إسقاط الملوك والعنبر روث دابة يلقيه البحر على وجه فيجتمع ويتجمد ولا رائحة له فإذا خرج عن وطنه علا وغلا وأنت يا جوهرة الوجود ما تعرف قدر قدرك ويحك لو سافرت من ظلمة طبعك إلى إقليم عقلك لرأيت قيمة جوهرتك لا يقوم لها ثمن ما نودي على موجود في سوق إيجاد بأبدع لما خلقت بيدي واعجباه أراد إبليس خروجك من دار الملك وطرده بسببك فتبعت المطرود وتركت الملك ومع هذا يناديك يا عبدي أقبل إلي لئلا تطول الغيبة فتنظم الوحشة ويحك إن لم يكن ذل العارف فلا أقل من ذل المعترف لعل عطفه عطف تعطفك.

أنا في أسرك كم أبغي بدل أنتم في القلب أعلا وأجل
ولقد أصبحت في حبكم بالذي ألقا، في الحب مثل
ولا أبالي أن تهتكت بمن الام في الحب عليكم أو عزل
سمح القلب أن يبقى على رقكم جار هواكم أو عدل
فوحق الحب لو عذبني بالذي يتلف روحي لم أسل
لست أشكو لسواكم فارحموا مهجة وقفا عليكم لم تزل
متعوني بمواعيد لكم واجعلوني فيكم رهن أمل
لو لقيتم بعض ما بي لم يكن لهواكم بالذي ألقى قبل

إلٓهي قد بلغت وجمعت.

إخوانـــي

المذنبين في مأثم واحد وأخذنا في النوح على ما فرط منا في التفريط وقد جرت عيون العيون على جداول الخدود إلهي لا تجعل من مجلسنا حسن اللفظ ورقة النوح وبلغ آمالنا إلى ما تعلقت به من حسن الوصول إليك أوف لنا كيل العفو وتصدق علينا لفقرنا إليك يا أرحم الراحمين.

مراجع التحقيق

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ كنز العمال للهندي، ط حلب سوريا.

٣ ـ صحيح مسلم، ط فيصل عيسى الحلبي.

٤ ـ الطبقات الكبرى للشعراني، ط محمد علي صبيح.

٥ ـ الفهرست لابن النديم، ط دار المعرفة.

٦ ـ تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة بيروت.

٧ ـ طبقات المفسرين للداودي، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٨ ـ مختار الصحاح للرازي، ط دار التنوير العربي بيروت.

٩ ـ مقاييس اللغة لابن فارس، ط مصطفى البابي الحلبي.

١٠ ـ لسان العرب لابن منظور، ط دار المعارف.

الفهرس